

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة جواهر الاسلام ثقافية اسلامية جامعة تصدر بتونس
تأسست سنة 1388 هـ / 1968م

«ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون»

صدق الله العظيم

<p>التمن للأفراد بتونس: 3.500 د بالخارج: 3.50 أورو</p> <p>الاشتراك بتونس للأفراد: 20.000 د بالخارج: 20 أورو</p> <p>الاشتراك للمؤسسات بتونس: 30.000 د بالخارج: 30 أورو</p>	<p>مؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله المدير رئيس التحرير محمد صلاح الدين المستاوي العنوان 28 نهج جمال عبد الناصر تونس 1000 الهاتف: 216.71.327.130 الفاكس: 216.71.432.233 البريد الالكتروني: mestaoui.s@gnet.tn الموقع الالكتروني: www.jawhar-al-islam.com الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة): 01000021110000238106 DAR EL KALAM D'EDITION ATB EL JAZIRA</p>
---	---

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم

19 نهج المصنع - المنطقة الصناعية الشرقية 2

الهاتف: 71.940.316 - الفاكس: 71.940.211

ر.د.م 4957 - 0330

ماي- جوان 2020

المحتوى

الافتتاحية:

- 3..... بقلم رئيس التحرير
- 4..... بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله ..
- 6..... بقلم العلامة عبد الله بن بية
- 8.....
- 9..... بقلم ا.د أبو لبابة طاهر صالح حسين
- 11..... بقلم د.محمد نذير اوسالم الجزائري
- 14..... بقلم ا. صالح العود فرنسا
- 18..... بقلم الدكتور الامين بمبا
- 27..... بقلم الشيخ عبد القادر عاشور
- 30..... بقلم الاستاذ سوف عبيد
- 34..... بقلم الاستاذ محمد صلاح الدين المستاوي
- 39..... بقلم الاستاذ صالح البكاري
- 45..... بقلم الاستاذ علي خناش
- 47.....
- 52..... بقلم الشيخ محمد الحبيب المستاوي رحمه الله
- 54..... شعر الاستاذ عبد المولى البغدادي
- 56..... بقلم الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي
- 60..... بقلم فضيلة الشيخ الدكتور احمد الطيب
- 63.....
- 69..... بقلم الاستاذ محمد العزيز الساحلي
- 70..... كتبه محمد صلاح الدين المستاوي
- 72..... كتبه محمد صلاح الدين المستاوي
- 75..... بقلم الاستاذ صالح العود
- 76..... بقلم فضيلة الشيخ محمد الحبيب النفطي
- 78..... كتبه محمد صلاح الدين المستاوي
- 80.....
- 86..... بقلم الاستاذ صالح الحاجه
- تفسير آيات من القرآن الكريم
- كراهية الانسان واستغلال الاديان هو ما يوحد جميع الازهاريين
- تنظيم ندوة علمية حول كتاب مشاهد من المقاصد للعلامة عبد الله بن بية
- محدث العصر العلامة محمد أحمد شاكر واضع أصول تحقيق النص الحديثي
- الدعوة الى الله : الخطاب بالتى هي أحسن أولى وأجدر
- تحريم كتابة القرآن الكريم بحروف غير عربية
- الاقتتال والقتل بعد نطق الشهادتين غلو وتطرف
- خصائص الحضارة الإسلامية
- الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله اخر عنقود الفقهاء
- في رياض السنة لا تكليف الا بقدر الاستطاعة
- العلماء والاصلاح الديني
- إن الله ليرضى عن العبد الصالح ان يأكل الأكلة فيحمده عليها
- فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله بقلمه
- فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور يحتل مرتبة القطبية
- مولاي عبدك بين اليأس والأمل (القسم الثالث)
- خطبة جمعة : في التصدي لظاهرة الانتحار وقتل النفس
- وثيقة : لا يوقف حمامات الدم التي أريققت على مذابح التكفير
- أجوبة فضيلة الشيخ كمال الدين جعيط رحمه الله (القسم الثاني)
- من أعلام الزيتونة : الشيخ محمد العربي الماجري
- قراءة في تجربة 20 سنة من تدبير الشأن الديني بالمغرب الشقيق
- الملتقيات العلمية الدينية في الجزائر اليوم امتداد للملتقيات الفكرية الاسلامي بالامس
- أعلام من التاريخ
- يسألونك قل
- بيان هدي الاسلام في التوقي من وباء الكورونا
- مجمع الفقه الاسلامي الدولي بجدة : توصيات الندوة الطبية حول «الكورونا»
- فيروس الكورونا... ما تعلمون وما لا تعلمون

Sommaire

Être musulman et moderne -2-

Par Pr Mustapha Cherif2

CONTRIBUTION DE L'EMPIRE DU MANDINGUE DANS
L'EVOLUTION DE L'ISLAM EN AFRIQUE DE L'OUEST A
L'EPOQUE MEDIEVALE -2

Par : Konate Moussa6

La solidarité et l'éveil de la conscience humaine

Le Prince El Hassan Bin Talal de Jordanie.....8

الافتتاحية:

عدد جديد من جوهر الاسلام حافل بالجديد المفيد

كنا نود لو اننا لم نتاخر عن اصدار هذا العدد 8/7 من السنة 19 من جوهر الاسلام لولا هجمة جائحة الكورونا -عافانا الله- التي لم تسلم منها اغلب بلدان العالم تقريبا . فقد كنا نعد لان يكون هذا العدد بين ايدي القراء قبل حلول شهر رمضان حتى اننا ضمناه بعض المقالات عن أحكام الصيام واسراره والتي اضطررنا إلى سحبها بما أن العدد سيكون بين الايدي بعد انقضاء شهر رمضان .

وقد تضمن هذا العدد بعض ما يتعلق بوباء الكورونا والذي منه البيان المستفيض الصادر عن مجمع الفقه الاسلامي الدولي بجدة وما هو في الحقيقة والواقع إلا عينة لما واكبت به الهيئات العلمية كالازهر وهيئة الافتاء بدولة الامارات وغيرها وواكبنا به معها وباء الكورونا من خلال المواقع الالكترونية مثل جريدة (الصريح اونلاين) وغيرها وهو ما يمثل مع بعضه البعض مادة علمية ثرية احاطت بهذه الجائحة وما ترتب عنها من أحكام فقهية فيما يتعلق بالاحكام الشرعية للوباء والحجر الصحي والتداوي ودفن الموتى جراء الكورونا وكيفية غسلهم وتكفينهم والصلاة عليهم وتعليق صلوات الخمس جماعة وصلاة التراويح في الجوامع وتعليق صلواتي الجمعة والعيد وغير ذلك من النوازل التي توفرت فيها اجابات علمية هامة ومفيدة جديدة بالجمع والتوثيق تعميما للاستفادة منها .

ويشتمل هذا العدد 8/7 من جوهر الاسلام اضافة إلى الابواب القارة المعتادة على عدة مقالات وبحوث لاعلام كبار نعتز بتعميم الاستفادة منها كما يحتوي هذا العدد على التعريف باعلام قدامى ومعاصرين من شيوخ هذه الربوع الذين كانوا نجوموا يضيؤون سماءها والذين هم بحق هم خير سلف لخير خلف ويحتوي هذا العدد كذلك على فتاوى واجتهادات فيها اجابات مستفيضة في نوازل جدت في حياة المسلمين في ديار الاسلام وهناك في بلاد الغرب حيث يعيش ملايين المسلمين من مختلف الاجيال والفئات ..

عدد جديد من جوهر الاسلام حافل بما ذكرناه وبسواه وبما يتضمنه القسم المحرر باللغة الفرنسية من مقالات نقدمه للقراء الاوفياء الذين ماتتفك تصلنا منهم رسائل الشكر والثناء على استئناف مجلتهم للصدور في سلسلتها الجديدة رغم المصاعب المادية التي تواجه الاصدار الورقي بصفة عامة والاصدار الورقي الديتي بصفة خاصة والتي لن تقل باذن الله وعونه من عزيتمتا في المضي في هذا السبيل الذي اتخذت له جوهر الاسلام شعارا قوله جل وعلا (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) صدق الله العظيم

رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم: فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، أفنجعل المسلمين كالمجرمين، ما لكم كيف تحكمون، أم لكم كتاب فيه تدرسون أن لكم فيه لما تخيرون أم لكم إيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء، فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) سورة القلم صدق الله العظيم

أخي القارئ لقد اسلفنا الحديث عن تلك العاقبة الأليمة التي حلت بأصحاب البستان الذين ابطرهم النعيم وغرتهم الحياة الدنيا فانزل الله بجنّتهم ما صيرها بلقعا لا اثر فيها لفاكهة ولا لثمر، ورأيت أيضا كيف أنهم ندموا بعد فوات الفرصة وأعلنوا التوبة والندم وضرعوا إلى ربهم عساه يعيد لهم ما اتلفه بسبب غضبه الذي لا يبقى ولا يذر فعقب المولى عن كل ذلك بقوله (كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم انه ليقابل الحالة بالحالة والعاقبة بالعاقبة عندما يذكر ما أعدّه للأتقياء الأبرار إذ يقول (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم)

أجل لهؤلاء الذين يخافون الله ويراقبونه في تصرفاتهم مع أنفسهم ومع عباد الله يقومون بالواجب لا يدخرون طاقاتهم في سبيل تحقيق أكبر قسط منه وينتهون عن كل ما نهوا عنه لهؤلاء جميعا أفضل الجزاء وأكبر أنواع الاحسان من عند ربهم الذي بيده نعيم الدنيا بما فيه من جنان وارفة الضلال ومن قصور عالية القباب، ومن تمكين في الأرض، ومن نصر على الأعداء، ومن عافية ومعافاة دائمة، ومن راحة بال واطمئنان نفس وبيده أيضا نعيم الآخرة السرمدي الذي لا يزول والذي لا يتأتى لنا ونحن في دار الفناء ان ندرك كنهه ولا ان نحيط بأسراره إنما فقط يقرب لنا تقريبا ويشبه لنا تشبيها.

بعد هاتين الخاتمتين يدخل المولى سبحانه وتعالى مع اعداء الحق في جدل واضح لا تعقيد فيه جار على نسق التساؤلات التي تكون مرة تعجبية وأخرى استنكارية كلها مبرجة (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) استفهام انكاري وتعجبي متفرعان عن بعضهما تمام التفرع ذلك ان الله جلت كلماته يستنكر عليهم الطمع في التسوية بين من وقف بجانب الله والتزم سبيله واثر رضاه عن كل سواه وبين ذلك الذي كان اسير شهواته وعبد مطامعه وغاياته يتصرف تصرف الحيوانات وتطوح به عنجهيته الرعاء وجهالته الحمقاء إلى التناول على مقدسات الله وعلى كتب الله وعلى رسله الاطهار واوليائه الأبرار ثم هو يساوي بين تصرفاته هذه وبين التصرفات المضبوطة السائرة وفق النواميس السماوية والأرضية بل قد لا يتورع عن تفضيل نفسه ونوعه عن يدعي مكابرة أنهم من البله المعاتيه فلا غرو إذا ان ينشأ عن هذا تعجب عظيم يسوقه المولى هكذا (ما لكم كيف تحكمون) ما بكم ماذا اصابكم، هل اصبحتم من المجانين أم على أي شيء تبنون أحكامكم وبأي ميزان تزنون القيم والاقدار حتى يستوي في موازينكم وأحكامكم أهل الاستقامة و أهل الانحراف. إن من بلغ به الاسفاف إلى هذا الحد لخليق بان يكون مثار سخرية واستخفاف حتى يواجهه المولى بقوله (أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تخيرون) ليس من السخرية اللاذعة ان يسألهم عن كتاب وهم الاميون الذين لم يدرسوا علما ولم تدون بينهم كتب ولم ينزل على رجل منهم وحي من السماء، أفبعد كل هذا يسألون عما تدارسه كتابهم وعما تخيروه من بين فصوله وابوابه

الكثيرة. إن كتابهم الوحيد الذي بين ايديهم هو كتاب الجهالات المضحكة والاهواء الجامحة والعواطف الهوجاء وإن ما يتخير من هذا الكتاب لهو العناد والجحود والظلم والظغيان وذلك هو التصرف الوحيد الذي يشترك فيه عامتهم وخاصتهم وحلماؤهم.

ثم يمضي سبحانه وتعالى في السخرية بهم إلى ابعاد حدود السخرية فيقول (ام لكم ايمان بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون) نعم، هل اخذتم على ربكم عهدا ومواثيق على ان يعافيكم ويؤمن روعكم ويسوق نعيم الحياة وامنها اليكم فتصبحون من شعب الله المختار يدللكم بالمن والسلوى وينزل عليكم موائد من السماء إن كنتم قد تحصلتم على هذه العهود المقطوعة والمواثيق المبذولة فلکم ان تحكموا والحالة هذه بما شئتم وان تفعلوا ما بدا لكم لأنكم على جانب من ربكم موصول ولكن ما داموا يعلمون ان شيئاً من هذا لم يحصل فان توجيه الكلام اليهم على هذا النحو وهذا الاسلوب يكون اشد ايلاما على نفوسهم من وخز الرماح وطعن الخناجر وخاصة وانهم من اهل الحس المرهف واهل الذوق البلاغي السليم ثم يطلب المولى سبحانه وتعالى من رسوله الاكرم عليه الصلاة والسلام ان يتوجه اليهم طالبا منهم ان يقدموا له من يتكفل لهم بتحقيق رغباتهم المعنة في الاستحالة والمتاهية في التنافر (سلمهم ايهم بذلك زعيم) إن هذا لهو التهكم الساخر العميق الذي يذيب الوجوه بما فيه من حرج وتحد سافر.

ثم ينتقل سياق التحدي معهم إلى واجهة اخرى تاخذ بطرف من الحياة الدنيا وتنتهي إلى الطرف الأول من الحياة الآخرة (ام لكم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) رغم ما في هذا السؤال من التفات فيه أو عارض عن المخاطبة إلى التحدث عن الغائب الذي يشعر بانهم اصبحوا كالميووس منه الذي لم يعد اهلا لأن يوجه إليه الخطاب مواجهة قلت بالرغم من ذلك يسألون هل لهم شركاء والشركاء موجودون قطعاً بيد ان وجودهم كالعدم ولذلك يتجاهلهم المولى أولاً ثم يتحدهم ثانياً عندما يطلب من المشركين ان ياتوا بهم ليشفوعا لهم بين يدي عذاب الله أو لينقذوهم من غائلته في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) هل ينفعهم شركاؤهم إذا جد الجد وكشفت الحقيقة عن ساقها وابدت وجهها سافرا، وحصل ما في الصدور وحصص الحق، وعرضت الخلائق والاعمال على ربها، وطلب الملائكة من العصاة والمخربين والكفرة والملحدين ان يسجدوا لربهم غير أنهم لا يستطيعون ذلك السجود الذي لو مكثوا منه لكان افضل امنية يحققونها منذ ان وجدوا

وان هذه الاستحالة أي استحالة السجود لتتمثل في احدى صورتين تتمثل أولاً في تعذرها وذلك ما يشير إليه قوله تعالى في اية اخرى (مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هوى) أي ان اعصابهم وأطرافهم مشدودة يابسة من شدة الهول وتتمثل ايضا أنه قد فات اوانها إذ الآخرة دار جزاء فقط وليست دار اعمال.

وان هذه الاستحالة لتؤكدها الاية هنا إذ تقول (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) وفيه من تصوير الخيبة والذل والارتباك ما لا يخفى، وتختتم الايات هكذا (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) انها لجملة حالبة تعرض اشربة الاقتدار والسعة والتمكن امام اعين الذين يستغلون هذه الامكانيات المادية والمعنوية في سبل الخير والنفع والعبادة وامام الذين يبدونها في الكفر والفسوق والعصيان وتستصرخ تلك الهمم التي دب إليها الوهن والاسترخاء حتى تنفض عن نفسها غبار الكسل وتمضي قدما في مجال العزائم الكادحة والاعمال المثمرة وتستغل كل فرصة مواتية وكل جهد متاح لكيلا تتدم يوم لا ينفع الندم ولكي تجني ما زرعته من عمل مبرور وسعي مشكور ولا يظلم ربك احدا.

كراهية الانسان واستغلال الدين هو ما يوحد جميع الارهابيين

بقلم : معالي العلامة عبد الله بن بيه

اسمحوا لي أولاً أن أشكر الجمعية الدولية للدفاع عن الحرية الدينية، ومكتب الأمم المتحدة لمكافحة التطهير العرقي والحماية على الدعوة لهذا المؤتمر الهام.

إننا نجتمع اليوم للتفكير في التحديات التي تواجه حضارتنا الإنسانية المريضة، وهي تحديات يفرض إلحاحها وخطرها، على أطباء الحضارة من الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب الفكر، المبادرة إلى الربط الدائم بين التفكير والفعل في آن واحد.

كل يوم تستيقظ البشرية على أنباء جريمة نكراء جديدة، بالأمس القريب شهد العالم مجزرة وحشية استهدفت مسجد النور في نيوزلندا، ثم تجددت الفجيرة بسلسلة تفجيرات شنيعة استهدفت دور العبادة في سيريلانكا، وقبل أشهر كان الدور على معابد يهودية في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية ليتلوه العمل المدان على الكنيس اليهودي في كاليفورنيا.

إنه الإرهاب العبثي يكشف في كل مرة عن حقيقته الهمجية، تحت مسميات مختلفة، تارة كراهية الإسلام، وتارة أخرى كراهية المسيحيين، وأحياناً باسم معاداة اليهود، كل العائلة الإبراهيمية في ذلك سواء، ولكن الحقيقة التي تختفي وراء ذلك وتوحد جميع الإرهابيين هي كراهية الإنسان، واستغلال الأديان.

أيها السادة إن الإرهاب يدعونا إلى اليأس بعضنا من بعض، وتجاهل المشتركات الكثيرة التي تجمعنا نحن أبناء البشر، من قيم الفضيلة والأخوة، إنه يدعونا إلى تنازع البقاء الذي يؤدي إلى الفناء، وإن أقوى ما نواجهه به أن نبقي جذوة الأمل حية في القلوب، وأن لا ندع مرض اليأس العضال يستولي على النفوس، وأن نعي أننا مثل ركاب السفينة، تجمعنا وحدة المصير والمسار، فلا نجا لبعضنا إلا بنجاة الجميع.

إن صبر أوروبا يختبر اليوم، أمام السفن التي تمخر البحار تحمل المئات من الجياع الذين طردتهم الحروب الغبية والإرهاب المجنون.

بروح التسامح التي تتجاوز منطق الاعتراف إلى أفق التعارف، تستقبل الإنسانية غدا مشرقاً، يفتح فيه بعضها لبعض حضنه، ليرى كل واحد في الآخر أخاً له، نظيراً له في الخلق وشريكاً في الوطن، فلا يضيق به صدرا ولا أرضاً، فما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق.

إن واجبنا أن نحافظ على هذه الروح، روح التسامح المفعم بالأمل والإيمان، حتى أمام أحلك الأزمات، وتنامي حركات تبني فكرها على فرض التناقض بينها وبين الغير، وتدعو إلى المفاصلة الدينية وصدام الحضارات، وكذلك بروز الخطابات الإقصائية ذات النبرة العالية والتعابير الساخطة. كل هذا المشهد المتغير الحالك لا يمكن أن ينسينا الجانب المضيء، حيث لم تزل غالبية الإنسانية شرقاً وغرباً، تؤمن بإمكانية العيش المشترك، وتتصدى لخطاب

العنف والكرهية. لقد كانت دولة الإمارات العربية المتحدة سباقة إلى تبني رؤية حضارية قائمة على قيم السماحة والتسامح، تقدّم المقاربات الحية والمبادرات القويّة في هذا الصّدّد على مختلف الصّعد وفي المحافل الدولية والإقليمية بجسارة وكفاءة، ووثيقة الأخوة الإنسانية التي وقعت في أبوظبي شاهد على هذه الجهود المميزة.

ومن أبوظبي انطلقت دروب السلام التي اختطها منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، حيث دعا منذ تأسيسه إلى رفض كل اضطهاد يوجّه إلى أقلية دينية أو عرقية أو ثقافية، ونبذ استغلال الدين في هذه الأعمال الشنيعة التي لا يبررها عقل أو يقرها دين. وفي هذا السياق عقدنا في مدينة مراكش يوم 25 يناير 2016 مؤتمر حقوق الأقليات الدينية في المجتمعات المسلمة: الإطار الشرعي والدعوة إلى المبادرة بمشاركة عدد معتبر من علماء المسلمين وبحضور شهود من الديانات الأخرى ومن الأقليات المعنية .

وصدر عن المؤتمر إعلان مراكش التاريخي لحقوق الأقليات باتفاق ومصادقة جميع الحضور من العلماء المسلمين وبمباركة القيادات الدينية من غير المسلمين، الذين كانوا شهوداً، ومن بينهم ممثلون عن الأقباط واليزيديين والصابئة المندائيين والنصارى الأشوريين وغيرهم. وقد حرص المؤتمر أن يبين بقوة أن اضطهاد الأقليات الدينية وكافة أشكال العدوان التي يقترفها الإرهابيون مخالفة لقيم الإسلام الذي أقر للأقليات الدينية حقوقها الدينية والثقافية والسياسية، في وقت لم تكن البشرية قد عرفت مثل هذا النوع من التسامح الموثق بصحيفة المدينة من قبل خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

وقد استهدفنا المصالحة بين الهوية الدينية والهوية الوطنية، فلا نرى أن قوة الانتماء إلى الهوية الدينية تؤدي إلى انهيار روح المواطنة بل نرى أن الانتماء الديني قد يمثل حافزاً لتجسيد المواطنة وتحييد سلبيات تأثير عامل الاختلاف الديني عليها.

إن أهم مقومين من مقومات المواطنة في إعلان مراكش هما مقوم المساواة في الواجبات والحقوق المتساوية، ومقوم الاعتراف بالتعددية وإقرار الحرية الدينية، حيث جاء في البند الثاني من الإعلان في سياق التذكير بالمبادئ الكلية والقيم الجامعة التي جاء بها الإسلام: إن تكريم الإنسان اقتضى منحه حرية الاختيار: (لا إكراه في الدين) (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)، وجاء في البند 13 في سياق ذكر الأسس المرجعية للمواطنة المتضمنة في صحيفة المدينة المنورة، ما نصّه: إن السياق الحضاري المعاصر يتوافق مع وثيقة المدينة لأنها تقدم للمسلمين الأساس المرجعي المبدئي للمواطنة، إنها صيغة مواطنة تعاقدية ودستور عادل لمجتمع تعددي أعراقاً وديانة ولغة، متضامن، يتمتع أفراداً بنفس الحقوق، ويتحمّلون نفس الواجبات، وينتمون رغم اختلافهم إلى أمة واحدة.

إن من مكامن القوة في هذا التصور الذي أبرزه إعلان مراكش هو الربط الواصب بين المواطنة وإطارها الناظم والمتمثل في مقصد السلم. فلا سبيل إلى تحقيق المواطنة الحاضرة للتنوع، إلا من خلال استراتيجية السلم.

تلك هي المقاربة التي نعتقد نجاعتها وهي التي بها ترتقي المواطنة إلى المؤاخاة وتتقل من الوجود المشترك إلى الوجدان المشترك.

كلمة العلامة عبدالله بن بيه في قمة الامم المتحدة جنيف ماي 2019

تنظيم ندوة علمية حول كتاب «مساهد من المقاصد»

نظم منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة الذي يرأسه العلامة الشيخ عبد الله بن بيه، في نواكشوط ندوة علمية حول كتاب مشاهد من المقاصد للعلامة الشيخ عبد الله بن بيه .

القاضي عبد الله ولد اعل سالم عضو مجلس أمناء منتدى تعزيز السلم الذي أشرف على تنظيم الندوة بعد أن رحب بالحضور، أوضح أن الشيخ العلامة عبد الله ولد بيه تصدى لكثير من مشاكل الأمة، منطلقاً من (من لمن يهتم بأمرنا فليس منا) مؤكداً أن الشيخ بن بيه يصف مشاكل العالم بالأمراض التي يعاني منها العالم و العالم الإسلامي خاصة، حيث يجب الرجوع فيها إلى الدواء من صيدلية الإسلام و هو متوفر، و لا يزيده الصرف من رفوفه إلا جدة ووفرة.

وتميزت الندوة التي ترأسها فضيلة الشيخ الطالب أخيار ولد الشيخ مامين، بتقديم القاضي محمد عمار ولد محمد احمد ولد سيدي يحيى، عرضاً تناول فيه مختلف الجوانب التي تحدث عنها الكتاب ، فيما علق كل من السيد محمدين ولد حمين والدكتور السيد ولد أباه على العرض.

وقد أكد المحاضر القاضي محمد عمار محمد احمد ولد سيدي يحيى، أن الكتاب يقدم حلولاً حقيقية وجديدة للمشكلات المعاصرة ، كما ظهر فيه المنهج الأصولي أكثر وضوحاً، مبيناً أن الشيخ استعرض بعض النوازل في المعاملات المالية الجديدة وقدم مقترحات وحلولاً تختلف عن كل أو جل الحلول التي قدمتها المجامع الفقهية في هذا المجال. وأضاف أن الشيخ ناقش المعاملات المالية الجديدة مثل الرهن العقاري والتملك بالإيجار، مؤكداً أن كل هذه المعاملات توفرت لها حلول في الإسلام، وهو ما أكد عليه بعض الاقتصاديين الغربيين، بل إن بعضهم لجأ للحلول التي يقترحها الإسلام من أجل حل بعض المشكلات المالية.

أما الشيخ محمدين ولد حمين، فقد بين المكانة العلمية الكبيرة للعلامة الشيخ عبد الله بن بيه ودوره في نشر العلم من خلال مؤلفاته الكثيرة حيث يعتبر مجدد هذا العصر. من جانبه قدم الدكتور السيد ولد أباه، تعريفاً موجزاً بمنتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة ودوره في تحسين صورة الاسلام والمسلمين بعد الحروب والأزمات التي عرفها عالمنا الإسلامي و خاصة بعد التفجيرات الإرهابية في الولايات المتحدة الأمريكية التي نفذها متطرفون وغلاة أساؤوا إلى الإسلام والمسلمين قبل غيرهم. وأضاف أن العلامة الشيخ عبد الله بن بيه تصدى لهذه المهمة من أجل توضيح الصورة الحقيقية الناصعة للإسلام السمح وقد تجسد ذلك في وثيقتين مهمتين هما وثيقة إعلان مراكش ووثيقة حلف الفضول اللتان تشكلان مجهوداً حقيقياً من أجل إصلاح الاختلالات.

وجرت الندوة بحضور لفييف من المفكرين والفقهاء والمهتمين بالقضايا الفكرية والثقافية .

مُحدِّثُ العِصرِ العِلمِةِ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ واضعُ أصولِ تحقِيقِ النِّصِّ الحِديثِيِّ ومُرْسِي قواعِدهِ

بقلم: أ.د. أبوالبابة الطاهر صالح حسين.

رئيس جامعة الزيتونة سابقا عضو مجمع البحوث الإسلامية

لقد سأل حبرٌ كثيرٌ حولَ التحقِيقِ عامَّةً وتحقِيقِ النِّصِّ الحِديثِيِّ خاصَّةً، وعُقدت الندوات والمؤتمرات العِلمِية العديدة منذُ مُنتصفِ القرنِ العِشرين المنصرم حتى اليوم، لبيان القواعد والأصول التي ينبغي أن يلتزمها المحققون والمصححون لمخطوطات السنة خاصَّةً، ودواوين الإسلام وعلومه عامَّةً، وحين نَمَعُن النظرَ فيما أنجز ندرِك أن زُبْدَةَ ما قيل ويُقال حولَ « التحقِيقِ » كان قد وضعها للناس الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر بلغة واضحة وأسلوب مُشرق، وبيان شامل لم يُغادر صغيرة ولا كبيرة ممَّا يَحْتَاجُه المحقق والنَّاظِرُ في تراث الإسلام العِلمِيِّ إلا ذِكْرَها .

وقد أدركَ الشيخ - طيبَ اللهُ تراه - بِشُفُوفِ حَسَبِهِ وَصِدْقِ إيمَانِهِ وَعُمُقِ إعْطامِهِ لتراث الإسلام، وخلصَ حُبَّهُ مِيراثَ النُّبُوَّةِ وإخلاصَهُ في خِدْمَتِهِ، خُطُورَةَ تحقِيقِ النِّصِّ وَتَصْحيحِهِ، فهو « من أشقِّ الأعمالِ وأكبرها تَبَعَةً » وَأَعْسَرُهَا إِنْجَازًا . وكان كبارُ الكُتَّابِ وَمَشَاهِيرُ الأَدْبَاءِ والعِلماءِ مُنذُ القَدَمِ قد استَشعروا هذا العُسْرَ وَهذِهِ الصُّعُوبَةَ . حتى أن أبا عمرو الجاحظَ من رِجَالِ القرنِ الثالثِ للهجرة (ت 255 هـ) كان يُحَدِّثُ مِن أن يتولَّى النِّسْخَ وَالتَّصْحِيحَ جاهلًا، لأنَّ ذلكَ يُؤدِّي بالكُتَّابِ إلى أن يُصْبِحَ « غلطًا صرفًا وكذبًا مُصمِّمًا » لاسيما إذا تعاقبت عليه الأيدي غيرَ المُحَنِّكةِ واعْتَوَرَتْهُ الأَفْهَامُ السُّقِيمَةَ .

ومن أهمِّ الأُصولِ المُتَبَعَةِ في التحقِيقِ، تَجْمِيعُ النِّسْخِ المِخْطُوطَةِ والمِطْبُوعَةِ ، للكُتَّابِ المُرادِ تحقِيقَهُ، ثُمَّ وَصْفُهَا وَصَفًا دَقِيقًا لِانْتِقاءِ النِّسْخَةِ الأَهَمِّ وَتَحْدِيدِ مَبْلَغِ الثِّقَةِ بِهَا أو الشكِّ في صِحَّتِها وَصِحَّةِ نَسَبِها إلى واضعِها، وذلكَ بِتَحْدِيدِ حَجْمِها وَعَدَدِ رِقَاقِها وما فيها من نَقْصٍ إن وُجِدَ، وَذِكْرِ ما عليها من سَمَاعَاتٍ، مع التَّصْصِيصِ على مَواظِنِ تلكَ السَمَاعَاتِ وتَوَارِيخِها، وَذِكْرِ ما في طَرَرِها وَهُوَامِشِها مِّن تَعالِيقٍ وَبَياناتٍ، وَعَرَضِ سَنَدِها مِن كاتِبِها أو قارئِها إلى مُؤَلِّفِها .. كما يَدْعَى المحقِّقُ إلى وَضْعِ رَمْزٍ لِكُلِّ نِسخَةٍ، واختِيارِ أَفضَلِها لِاتِّخاذاها عَمْدَةً وأَصلاً، والإشارة إلى الفروقِ بينها، مع الكَثِيرِ مِنَ التَّحَرِّيِّ وَالتَّثَبُّتِ وَالاجْتِهَادِ في التَّرْجِيحِ عند اختلافِ النِّسْخِ . والنسخة المعتمدة لا بدَّ أن تكونَ مُقَابِلَةً مَعَ أَصْلِها حَرْفًا حَرْفًا، أو مع فِرْعٍ قَوِيلٍ على الأَصْلِ، وكان السلفُ يَعتَبِرونَ النسخةَ غيرَ المُقَابِلَةَ فَاقِدَةً القِيَمَةَ، قال عُرْوَةُ بَنُ الزَّيْبِرِ أَحَدُ الفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ ت 93 هـ لِابْنِهِ هِشامَ: « كَتَبْتَ؟ قال: نعم، قال: قابلت؟ قال: لا، قال: لم تكتب ». وقال أبو الخطاب عبد الحميد الأَخْفَشِ (ت 177 هـ) « إذا نَسَخَ الكُتَّابُ ولم يُعَارِضْ ثُمَّ نَسَخَ ولم يُعَارِضْ خَرَجَ أَعْجَمِيًّا . »

والشيخ أحمد شاكر ينعي على المطابع طبعَ كُتُبٍ دون الإِفْصاحِ عن أصولِها التي طبعت منها، وبلا تحقِيقِ عِلمِيٍّ وبلا مُقَابِلَةَ وتَدقيقٍ، أو بِتَصْحيحِ جَهْلَةٍ غيرَ أَكْفِياءٍ لخطورة انتشارِ الكُتُبِ غيرِ الصَّحِيحَةِ، لا سيما الأَمْهاتِ التي تُمثِلُ أَصُولَ الإسلامِ وشريعَتَهُ وأحكامَهُ وحضارتَهُ . فَالمُصَحِّحُ ينبغي أن يكونَ عالِمًا وله الإلمامُ واسعٌ وعميقٌ بموضوعِ الكُتَّابِ الَّذِي يتولَّى تصحيحَهُ إذ « رَبُّ خَطَايَا فِي نَظَرِ مُصَحِّحِ الكُتَّابِ هُوَ الصَّوابُ المُوافِقُ لما قال المُؤَلِّفُ،

وقد يتبينه شخص آخر عن فهم ثاقب أو دليل ثابت « . وكم أبدى الشيخ أحمد رحمه الله من الحزن والأسى على نشر كتب مُتقنة لأُمّهات دواوين العلم إلا أنها لم تُفصح عن أصولها . والشيخ يدعو المحققين للإطلاع على منهج القدماء عامة والمحدثين خاصة في كتابة الحديث ونسخ مدوّياته، فهم يُوجبون على كتابة الحديث تمييز الحروف المعجمة عن المهملة بضبط ما يكتبونه شكلاً ونقطاً يؤمن معهما الالتباس، وضبط الملتبس من الأسماء، ويطلبون أن يكون الخط بيّناً مقروءاً واضحاً غير دقيق إلا من عذر، وأن يوضع بين الحديث والحديث دائرة، وأن تبقى تلك الدوائر غفلاً حتى إذا ما قوبلت النصوص وضعت في وسطها نقطة أو شرطة صغيرة. كما يدعوهم لفقهِ رموز المحدثين كاللحق وكيفية تخريجه والتصحيح والتضييب والتمريض والضرب وشكله أو الحك والمحو .

كما يتحتم على المحقق فهم مختصرات المحدثين التي وضعوها لصيغ الراوية مثل « ثنا » و« نا » اختصاراً لحدثنا، ومثل «أنا» اختصاراً لأخبرنا، و« ح » التي تعني الانتقال والتحويل أو الحائلي بين سند حديث وآخر. كل هذه المعارف تعين المحقق على تجاوز الكثير من الصعاب التي تحيط بالنص المخطوط، والوصول به إلى أقرب صورة وضعها عليه مؤلفه، ووصولاً إلى تحقيق قصد مُصنّفه منه وهدفه من تصنيفه، وهو إبراز مراد الرسول المبلغ عن ربه .

ويشير الشيخ شاكر إلى ما وقع فيه المنبهرين بالمستشرقين من اعتقاد أن أصول التحقيق هي من وضعهم على أساس جودة ما حققوه ونشروه من مخطوطات التراث العربي ودقة عملهم في إنجازها، وما دبجوا به منشوراتهم من فهرس فنيّة تفنّنوا في تنويعها وإثرائها وترتيبها، وصحح رحمه الله هذه الأفهام الخاطئة مُثبتاً أن أصول تحقيق المخطوطات وتصحيح الكتب وضعها المسلمون منذ عهد نهضتهم الأولى ومع بداية وضعهم المصنفات العلميّة، كما أن الفهارس ولئن تفنّن في وضعها وتصنيفها المستشرقون إلا أن مُبتكر الفهارس هم المسلمون، فالمستشرقون تابعون لا متبوعون، فظهورهم كان متأخراً جداً عن نشوء الفهارس العربيّة التي وُلدت مع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) في معجمه اللغوي « العين » الذي رتبّه على مخارج الحروف من أسفل الحلق، ثم تدفق سيل المعاجم على الحروف (أ. ب. ت. ث. ..) تيسيراً على الناس، واخترع علماء الحديث قياساً على معاجم اللغة معاجم للحديث وللرجال والأعلام، على ألوان باهرة من التبويب والترتيب، تلبية حاجة طلاب العلم والباحثين في فنونه المختلفة .

إن ما خطّه الشيخ شاكر منذ أربعينيات القرن العشرين للميلاد، حول أصول التحقيق وما أرساه من أسس وقواعد تصحيح النص الحديثي في مقدّمة تحقيقه سنن الترمذي، يزود القارئ العربيّ والمسلم، بكل ما يحتاجه من أدوات التحقيق، وما عجّت به عشرات الكتب والبحوث والمقالات بعد ذلك من حديث حول التحقيق، لا يعدو كونه ترديداً أو تمطيلاً أو تحسیناً لما قاله الشيخ، وإعادة صياغته مع بعض الإضافات القليلة، التي وإن أضفت على التحقيق مزيداً من الكمال، إلا أن فقدانها لا يقلل من أهميّة ما سطره الشيخ وقرّره حول التحقيق، ولا من القيمة العلميّة العالية لتلك الأصول والقواعد التي أرسى دعائمها العلامة الشيخ أحمد شاكر تقبّله الله مع النبيّين والصديقين في جنّات النعيم .

وصلّى الله على سيدنا محمّد النبيّ الأَسعد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أ. د. أبو لبابة الطاهر صالح حسين - قابس (تونس) 15 - جانفي (يناير) 2020

الدعوة إلى الله: الخطاب بالتي هي أحسن أولى وأجدر

بقلم : الدكتور محمد نذير اوسالم الجزائري
أستاذ اللغة العربية والتفسير بجامعة وهران الجزائر

شرف الله الأنبياء بوظيفة الدعوة، وقد هيأهم لها، وأعطاهم من القوى النفسية والفكرية ما حماهم من ردود الفعل السلبية تجاه ما يتلقونه من قبل السفهاء والمعاندين، ممن يكذب دعوتهم، ويسفه أحلامهم، ويتعرض لمن آمن بهم، وأهل العناد حينما يتكبرون للأنبياء إنما يكون بدافع الكبرياء، وإيثار الباطل على الحق، حفاظا منهم على المنصب والجاه، فتلك مرتبة لا يرضى أحدهم أن يتخلى عنها من أجل دين جديد، لا يرضى أن يتخلى عن هذه المنزلة من القوة والسؤدد، والقدرة على الأمر والنهي، والوصول إلى المأرب الذي يريده، ولا يرضى أن يتلقى الأوامر ممن يعتقد أنه أضعف منه، وأقل شرفا ومكانة، يفعلها كبرا وبطرا، وقد عبر عنه القرآن بقوله: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» النمل/14.

كان هؤلاء المنكرون يستكفون عن أن يكونوا في صعيد واحد مع العبيد، والخدم، والفقراء، وكانوا يحتقرونهم بل واستهزؤا بالأنبياء حين رأوا أن أكثر من آمن بهم من هؤلاء الضعفاء، وكانوا يقولون: «فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ» هود / 27، هكذا ينظر المستكبرون إلى هؤلاء الذين سموهم (أراذل)، أما الأنبياء الذين يحرصون على إيمان كل أحد، فلا فرق عندهم بين فقير وغني، وقوي وضعيف، فالكل سواء عند الله خالقهم، فمرحبا بمن دق باب الهداية والإيمان، فهم لا يصنّفون الناس حسب الطبقات، بل الناس جميعا سواسية، فلا فرق بينهم إلا بالقوى لأنه ميزان الله الذي لا يشتمط.

فمن الضروريات القصوى أن يعرف الناس - خصوصا في أيامنا هذه - ماهية الدعوة إلى الله، فالنبي يدعو الضالين والمنحرفين إلى الدين الحق والصرط السوي، يهديهم إلى توحيد الله وإلى الأخلاق الحميدة، فما أكثر الأخلاق السيئة التي ينبغي أن تغيّر، وتستبدل بالحسن من الأخلاق، وبالصالح من الخصال، فالدعوة من أجل الهداية، والأخذ بأيدي الضالين إلى طريق النجاة، فالدعوة مطلقة، فكما تكون لأهل الكفر بهدايتهم إلى الإيمان والتوحيد، فكذلك تكون الدعوة للمسلم العاصي بإرشاده وتوجيهه إلى الخير والصلاح، وترك الفجور والتمادي في الضلال.

فالدعوة وظيفية كل من يريد الخير للناس، فكما كانت صفة للأنبياء فكذلك تكون صفة لأتباعهم، وهاهو النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - يقول لأتباعه: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آوَى»، فهؤلاء أعوانه في تبليغ هذا الدين، ودعوة الناس إليه، ولولا الدعوة ما بلغ هذا الدين أحدا، وقد أثنى الله على هذه الطائفة من الناس حين قال: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

مَمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» فصلت/33، فقد قرن بين ثلاثة أشياء يكون بها كمال المؤمن، وهي الدعوة إلى الله، والعمل الصالح والانضواء تحت راية الإسلام، تلك صفات تدرج في إطار واحد، بها تكتمل شخصية المسلم، ويرقى في سلم التواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

جاء في آية أخرى الأمر المباشر بالدعوة إلى الله: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (125) «النحل/125» فهي دعوة إلى سبيله، أي إلى طريقه التي أوضحها في كتابه، وهو الصراط المستقيم الذي سار عليه نبيه ودعا إليه بقوله وفعله: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» يوسف/107، فسبيل الله واحدة لا تتعدد، ومنهج واضح لا يتبدد، وسير واحد لا يقبل الحيدة، ولا التحول، ولا التردد، والداعي إلى هذه السبيل لا بد أن يتوفر على شروط تؤهله لهذه المهمة النبيلة، تلك الشروط قد تكون مجتمعة أحيانا، ومفترقة أحيانا أخرى حسب الداعي والمدعو.

فمن تلك الشروط: الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فالحكمة وضع الشيء في موضعه، فالداعية عليه أن يختار من الوسائل الدعوية أنجعها، ومن الأوقات أنسبها بحال المدعو، فالداعية يتخير الكلمات والأوقات، ويتحين فرص الإقبال كما يتحاشى مواطن الإدبار، فليس من الحكمة أن يلقي بالكلام على عواهنه، أما الموعظة حين يريد توجيهها إلى المدعو، فلا بد من اختيار أجمل الأساليب، وأحلى الألفاظ، وأرق العبارات، فإنها أدعى للقبول، وأسرع نفاذا إلى القلوب، فبالموعظة يكون خطاب العامة، وبالحكمة يكون خطاب أولي الأحلام والنهى، فالعامة يفهمهم من الخطاب ما يحرك العواطف والمشاعر، أما المفكرون والعلماء فلا يفهمهم ذلك، بل استجابتهم تكون لما يقنع العقل ويزيل الشك، وذلك سبيل الحكمة، ويناسبها ما عرفها به ابن عاشور في قوله بأنها: «المعرفة المحكمة، أي الصائبة المجردة عن الخطأ، فلا تطلق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم. ولذلك عرفوا الحكمة بأنها: معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض ولا تخطيء في العلل والأسباب. وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير.»

أما الجدال بالتي هي أحسن فيكون مع الخصم المعاند، بشرط أن يكون «بالتي هي أحسن» ، وذلك ما ارتبط في القرآن بمن تؤثر عنه عداوة كما في قوله: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» فصلت/34، وحتى لا يزداد نفورا فخطابه بالتي هي أحسن أولى وأجدر، حتى لا تضيع فرصة التآمر، وفرصة بيان الحق على وجهه الصحيح، وكثيرا ما يجدي هذا الأسلوب في المجادلة مع الفئة المتعلمة ذات المستوى العالي، ويقصد بمثل هذا الأسلوب ترك التعنيف، والتجريح، وإلقاء التهم

،والتفسيق، والتكفير، وهلمَّ جرًّا .

ما أحوجنا إلى من يتصف بتلك الصفات المشروطة في القرآن على كلِّ مَنْ يَمْشِي بين النَّاسِ داعيا إلى الخير، ساعيا إلى هدايتهم، لا يرجو إلا مرضاة ربِّه، وأنَّ يَحَقِّقَ رجاءه في هداية مدعويه، وتلك صفات قلت في كثير ممَّن يدَّعي تلك الوظيفة النبيلة، فلا يملك علما كافيا، ولا خلقا ساميا، وليس بين يديه من الوسائل النَّاجعة ما يؤهِّله إلى إقناع الطَّرَفِ الآخر، ناهيكم عن سيء الطَّويَّة، التي تكون حجابا كثيفا يدفع الناس عن قبول ما عنده ولو كان من الحقِّ الذي جاء به الدين، فحسِّن العرض مطلوب، وهاهو القرآن يُعْطِينَا نموذجَ الهداية متمثلا في شخص النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «فَبِمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لُنْتُ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُ فَظًا غَلِيظًا لَلْقَلْبِ لَإِنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» آل عمران/159، فنبينا هو مثال كلِّ داعية صادق، يَمْشِي في الناس بخلقِه لا بقبْلِه، ويحسن معاملته لا بادعائه، مقدِّما اللين على العنف، والرَّحمة على القسوة، ليكن على تلك الصفات مع القريب والبعيد، ومع المسلم وغير المسلم وصدق نبيِّ الرَّحمة إذ يقول: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه» .

من مؤلفات الاستاذ صالح العود

- احكام الذبائح في الاسلام وعند اهل الكتاب والاوروبيين حديثا ط1 باريس1980وط2دار ابن حزم بيروت1438هـ2007م
- * اقناع الامة بتحريم كتابة القران بالحروف اللاتينية ط1 بيروت1438هـ2017م
- * الامتاع عن كتابة القران بالحروف اللاتينية او الاعجمية طادار ابن حزم بيروت1426هـ205م
- * انت تسال والاسلام يجيب طادار ابن حزم بيروت1433هـ2012م
- * تحريم كتابة القران بحروف غير عربية
- * خلاصة البيان في حكم اكل الاجبانط1 مركز التربية الاسلامية باريس1414هـ1994م
- * دراسة فقهية في سبيل توحيد الصيام والافطار في فرنسا طابا ريس
- * الرد على من خالف المعتمد في ان وقت الجمعة هو وقت الظهر بالكتاب والسنة والاجماع واقوال العلماءط1بيروت1438هـ2017م
- * السيرة النبوية عند ذكر اسمه الشريف مشروعة بالكتاب والسنة واقوال العلماءط1المغرب1436هـ2014م
- 20 فتوى شرعية في تحريم كتابة السور والايات القرانية بالحروف اللاتينية الصادرة بالاجماع عن مجلس الاقراء والقراء بدمشق الشام(تحقيق وتقديم)ط1بيروت1438هـ2017م
- وللا ستاذ صالح العود كان الله في عونهِ ووفقه مؤلفات اخرى عديدة ومتنوعة في مختلف ابواب العلوم الاسلامية(في الفقه والسنة والسيرة وفي الترجمة والتعريف بالاعلام فضلا عن الكتب التعليمية لمختلف المستويات.....)

تحريم كتابة القرآن الكريم بأحرف غير عربية (لاتينية وأعجمية)

بقلم: الاستاذ صالح العود - فرنسا

فشئت في أوساط مسلمي عصرنا فاشية شنيعة، وبدعة فظيعة، تمس كتاب الله العزيز؛ وتهدد رسمه الخالد العظيم، الذي كتب به منذ القرون الأولى الخيرة، وتحي في الأمة الاسلامية فتنة أشبه بتلك التي حدثت على عهد الخليفة الراشد: عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، أعني بها: الاختلاف في المصاحف.

ولولا أن من الله تعالى على المسلمين، بإلهام سيدنا عثمان اخماد تلك الفتنة، بجمع الأمة على مصحف واحد وهو الذي عرف؛ المصحف الإمام، وعلى رسم واحد والذي أطلق عليه: الرسم العثماني، لبقى كتاب الله العوبة بأيدي البشر في كل زمان ومكان، وحقلا للتجارب، كلما عنت لإنسان فكرة، أو ر ام بزعمه، تعديلا وابتكارا.

وهي نفس الغاية التي حدث بمروان بن الحكم وقد كان يومئذ أميراً على المدينة المنورة من قبل معاوية حيث أرسل بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه عشية دفن أم المؤمنين حفصة رضي الله تعالى عنها، ليرسل إليه بالمصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، فأمر بها مروان فشقت، وفي رواية: فمزقت، وفي رواية: فشققها وحرقها، وفي رواية: فغسلها غسلا، وقال: إنما فعلت هذا لأنني خشيت ان طال بالناس زمان، أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب.

ومروان يسعى بذلك إلى قطع دابر فتنة الاختلاف ولو بإعدام الصحف الأصلية التي ظلت محفوظة عند الخليفة أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند الحليفة عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين بعد وفاة أبيها، وخشية أن يقع لأحد على مر العصور وتعاقب الأجيال توهم بأن فيها ما يخالف المصحف الذي اتفق عليه الصحابة، وأجمعت الأمة عليه، واستقروا عليه آخر الأمر.

بل إن عثمان رضي الله تعالى عنه أكره عبد الله بن مسعود على رفع مصحفه، ومحو رسومه لما أراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه فلم تثبت له بعد ذلك قراءة أبدا، وكان كما قال القاضي أبو بكر بن العربي: ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض .

أما بدعة هذا العصر فهي تتمثل في: تغيير رسم القرآن الكريم واستبدال كتابته بكتابة غير عربية أعني بحروف أجنبية: لاتينية أو أعجمية.

أما الذين يمارسونه فهم للأسف ناس من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويزعمون أنهم يحسنون صنعا، مدعين أنهم يسهلون قراءة القرآن على الذين يجهلون اللغة العربية، أو الذين يتعذر عليهم النطق باللسان العربي ممن اعتنقوا الإسلام حديثا .
ففي اندونيسيا البلد المسلم ظهرت طبعة للقرآن الكريم بالحروف الأندونيسية .

وفي تركيا البلد الذي هجر الحروف العربية، عمدت بعد سقوط الخلافة إلى استبدال القرآن الكريم بالحروف اللاتينية.

وفي غينيا رجل مسلم يكتب أجزاء عديدة من القرآن الكريم بالحروف اللاتينية.

وفي مصر علا أكثر من صوت أو مشروع ينادي بكتابة القرآن بالحروف اللاتينية.

وفي لندن ظهر مصحف كامل بالحروف الإنجليزية.

وفي فرنسا أكثر من طبعة لسور أو أجزاء من القرآن الكريم بالحروف الفرنسية .

ومما يؤخذ على تلك الكتابات الاثمة، والنماذج المحرفة لآيات الله الكريمة وسوره البينة، ما يلي :

تغيير نص كتابة القرآن ألكريم من الرسم العثماني العربي إلى حروف أخرى لا صلة لها بالحرف العربي، لا من قريب ولا من بعيد، وهو الحرف الواحد الذي اصطبغ به النص القرآني منذ نزوله، وهي خطة بالغة الخطورة، حيث لم يقدم عليها أحد كائنا من كان في الأزمان المتقدمة: لا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في مراسلاته مع ملوك فارس والروم، ولا الصحابة في مهاجرهم خارج الجزيرة العربية، ولا السلف الصالح من التابعين فمن بعدهم، بعد أن دخل، الناس في دين الله أفواجا من كل حذب وصوب، عربا وعجماء. اجتهاد كل كاتب يكتب القرآن الكريم بغير العربية كما يحلو له أو يرتئيه، دون رقابة أو مرجعية، وهذا مما يعمق هوة الخلاف، سواء في الكتابة أو عند القراءة، علما أن الخلاف في الكتابة من شأنه أن يورث الاختلاف في القراءة، وهو الشيء نفسه، الذي عمل على إبادته الخليفة عثمان رضي الله تعالى عنه، ووافقه على ذلك الصحابة، وهو الشيء نفسه الذي أقدم عليه مروان بن الحكم في خلافته أيضا بعد كذا سنة مما قام به سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه.

هناك عدة قراءات للقرآن الكريم: كقراءة: «حفص»، «قالون»، «ورش» وغيرها، مما يسبب اعتراضات واستغرابا بالغين لدى القارئ الغير العربي، عند قراءته للقرآن الكريم بحروف غير عربية، مما يحمله على الطعن في كتاب الله لأول وهلة.

واجبنا نحو الذي أسلم حديثا أن نعلمه، أو نعرفه العربية ليستكمل، فرض عينه: كالنطق السليم بالشهادتين، وقراءة الفاتحة وسورة أخرى ولو قصيرة، لتقبل صلاته، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من يسلم، وكذلك الصحابة من بعده. يقول الإمام الشافعي في كتابه: الرسالة ص ٤٨ : «على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسييح والتشهد، وغير ذلك» .

لو تمادى الحال في كتابة القرآن بحروف غير عربية حتى نهاية المصحف كله، فستصبح هناك أعداد هائلة من نسخ القرآن المكتوبة بغير العربية في عدة لغات، بل وفي اللغة الواحدة عشرات من النسخ، بحيث نجد أن كل نسخة تختلف عن الأخرى « كتابة » و« نطقا، وبطول الزمن يتلاشى هذا القرآن الأصلي لا سمح الله وهو ما حصل للكاتب السابقة .

لو أذنا بجواز كتابة سورة واحدة مثلاً، أو حزب فقط، أو الاقتصار على جزء عم دون أن يتعداه إلى غيره، فمن ذا الذي يضمن لنا الاكتفاء أو الاقتصار على ذلك، بحيث لا يسترسل، هذا الكاتب في كتابته حتى آخر سورة من القرآن، أليس منع الكتابة كلياً لا جزئياً أحوط وأسلم وسداً للذريعة، ثم إن القليل والكثير في الحرمة سواء.

في قراءة القرآن الكريم بالحروف الأعجمية، وسيلة إلى إبطال الرغبة عند العجم في تعلم العربية التي يعتبر القرآن الكريم الوعاء الأول لها.

لبيلة القارئ: مسلماً كان أو غير مسلم، ثم حيرته لما يلقاه من اضطراب، واختلاف في المكتوب.

في ترخيص القليل من كتابة القرآن الكريم بغير العربية، تشجيع على كتابة الكثير منه بل قد يستمر حتى نهايته، ثم حدث ولا حرج عن كثرة السقطات والمصطلحات المفسدة للقراءة.

في كتابة القرآن بغير العربية إحياء لآتهام قديم: أن القرآن من وضع محمد، أو إنما يعلمه بشر، وليس من عند الله؛ بما فيها من قصور؛ واختلاف، وتناقض، وفي هذا يقول المولى عز وجل: «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين».

ويقول: عربي فهو إذا قرآن وكتاب فمن حيث هو قرآن يتلى باللسان العربي ومن حيث هو كتاب يكتب بالحروف العربية . اصحابه بكتابة القرآن، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لمعاوية وهو من - ذلك كثيرة، منها: أنهم غير مسلمين، ومن أنهم أعداء الدين. ومن حديث العرباض بن سارية، وفيه يقول رسول الله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» .

وإذا شئنا التوسع في استجلاب المزيد من الأدلة، فإننا واجدون من أقطاب علماء الفقه الإسلامي قديماً وهم أئمة الفقه الأربعة، اتفاقاً في وجهات النظر والحكم بـ«تحريم كتابة القرآن بحروف غير عربية» .

الحنفية: نقل العلامة المفتي محمد شفيع الديوبندي رحمه الله تعالى في كتابه «جواهر الفقه» نقلاً عن العلامة الشرنبلاني الحنفي في رسالته المسماة بـ«النفحة القدسية في أحكام قراءة القرآن وكتابته بالفارسية ما نصه: «إن كتابة القرآن بالفارسية قد نص عليها في غير ما كتاب من كتب أئمتنا الحنفية المعتمدة، منها ما قاله مؤلف الهداية الامام المرغيناني في كتابه التجنيس والمزيد، ما نصه «يمنع من كتابة القرآن بالفارسية بالإجماع»؛ ومنها ما في معراج الدراية «أنه يمتنع من كتابة المصحف بالفارسية أشد المنع، وأنه يكون معتمده زنديقاً». ثم نكر مثله من الكافي، وفتح القدير للمحقق ابن الهمام .

المالكية: نقل أبو عمرو الداني عن أشهب قوله: سئل مالك هل يكتب «المصحف» على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى .

ثم قال أبو عمرو: ولا مخالف له من علماء الأمة .

الشافعية: أفاد شيخ الاسلام العلامة ابن حجر الشافعي في فتاواه: «تحريم الكتابة»؛

وقد سئل: هل تحرم كتابة القرآن الكريم بالعجمية كقراءته، فأجاب رحمه الله تعالى

بقوله: قضية ما في المجموع: الإجماع على التحريم... قال الزركشي: ويحرم أيضاً

كتابته بقلم غير العربي».

الحنابلة: قال الامام أحمد بن حنبل: «تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو، أو ألف، أو ياء، أو غير ذلك». وهكذا نرى «إجماع» أئمة الفقه الأربعة في مسألة تعد خطيرة وهي «تقنين رسم المصحف أو كتابته بكيفية أخرى»، وقد ذكر العلامة الشرنبلالي في رسالته: النفة القدسية: إجماع الأئمة على ذلك.

المجامع الفقهية، ودور الإفتاء:

* **مجلس هيئة كبار العلماء في السعودية:** «قرر المجلس بالإجماع تحريم كتابة القرآن بالحروف اللاتينية أو غيرها من حروف اللغات الأخرى».

* **مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة:** «قرر بالإجماع تأييد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ما هو عليه، ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في الدين القرآني، واتباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين» .

مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة: إذ قال سبق أن قرار مجلس مجمع البحوث الإسلامية في جلسته السادسة بتاريخ ٧ / ١٩٧٠م أن القرآن الكريم قد وضل إلى السلمين عبر العصور مكتوبا بالرسم العثماني الذي يحافظون عليه منعا لأي تحريف يطرأ على لفظ القرآن الكريم. كذلك فإن ترتيله متوارث جيلا عن جيل بالنطق الذي أثر عن النبي، وقد وضع علماء المسلمين قواعد صريحة محددة في علم تجويده هي التي تحكم ترتيل القرآن الكريم، وفي أي خروج عليها مخالفة لا يقرها الإسلام ولا يرضاها المجمع. حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، واتباعا لما كان عليه الصحابة، وأئمة السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

دار الفتوى اللبنانية: «إذا كانت كتابة المصحف بالرسم القياسي العادي بالحروف العربية ذاتها لا تجوز، لمخالفته للرسم العثماني في رسم بعض الكلمات، فإنه لا يجوز من باب أولى كتابة المصحف بالحروف اللاتينية، غير العربية، فإن في كتابة المصحف بالحروف اللاتينية تحريفا له، وإزالة لمعالمه، وتغييرا لأصله الذي نزل به لقوله تعالى: «إنا أنزلناه قرآنا عربيا لقوم يعقلون». فيجب على كل مسؤول - من المسلمين الوقوف في وجه هذه المحاولة والتصدي لها، ومنع كتابة المصحف بالحروف اللاتينية، ومنع تداول تلك النسخ إذا وجدت، ومصادرتها من المكتبات والأسواق» .

* **دائرة الإفتاء العام، عمان، الأردن:** «أجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف في القرآن الكريم يؤدي إلى تحريف لفظه، أو تغيير في معناه ممنوع منعا باتا، ومحرم تحريما قاطعا. وقد التزم الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية. ومن هذا تبين بوضوح أن كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية المعروفة، أو بحروف اللغات الأخرى لا تجوز».

* **الهيئة العامة للفتوى في الكويت:** «لا يجوز كتابة القرآن الكريم المصحف بغير اللغة العربية وبغير الرسم العثماني، حتى ولو كان بقصد تيسير قراءة القرآن الكريم لغير العرب من المسلمين الجدد، لما يترتب على ذلك من تحريف للقرآن الكريم وتبديل بعض الحروف، ولأنه كتب بالرسم العثماني، الذي يستوعب القراءات السبع كلها، وسدا للذرائع، وصيانة للقرآن الكريم من محاولات التفسير والتبديل التي يحرص عليها أعداء الإسلام» .

الافتتال والقتل بعد نطق الشهادتين غلو وتطرف

إعداد الدكتور: *الأمين بامبا - ساحل العاج

الحمد لله أننا عرفنا الإسلام قبل ظاهرة التطرف، والحمد لله قد تعلمنا فقه السنة من خلال سيرة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام قبل ظهور مرض الغلو، وعلى آله وأصحابه الذين بينوا للأمم أن السلام في الإسلام تحية وشعار ومبدأ، ومن سار على نهجهم السلمي إلى يوم الدين.

أما بعد:

فواعجبا على قتل الناس باسم الإسلام؛ فأى الإسلام هذا؟ أمن عقيدته؟ فلا، لأن أهل السنة والجماعة لا يكفرون أحدا من أهل القبلة؛ أمن الفقه الإسلامي؟ فلا، لأن الفقهاء قد أجمعوا على تحريم قتل نفس بريئة، وحتى نفس مرتدة، فحكمتها من الأحكام السلطانية التي بيد السلطان، الذي هو ظل الله في الأرض، وليس بأيدي الأفراد ولا الجماعات، ناهيك أن يكون هذا القتل والافتتال من أهل السلوك والنفوس الزكية؛ (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) بالقتل والتفجير.

يا معاشر علماء أفريقيا: سؤال يطرحه الناس: «ما موقف علماء الإسلام من قتل امرئ بعد نطق الشهادتين»، وهو يؤمن بالصلاة والزكاة والصيام والحج؟ ومن هنا كان عنوان المداخلة: (الافتتال والقتل بعد نطق الشهادتين غلو وتطرف. سيناريوهات). وهذا ما سأحاول تفصيله في سيناريوهات، وهي أمراض أهل الغلو والتطرف:

السيناريو الأول: معركة المصطلحات

ومن نماذج المصطلحات في المعركة الاصطلاحية:

(1) الجهاد، (2) الكافر، (3) المسلم، (4) المرتد، (5) دار الإسلام، (6) دار الكفر والحرب، (7)

التطرف والغلو

قلت معركة المصطلحات: لأن كل فريق من الفريقين يستخدم مصطلحا أو مصطلحات في حق فريق آخر يعارضه، ولكل مصطلح عند أهله دلالاته، دينية كانت أو فقهية أو جنائية أو قانونية، ويعمل مستخدمه بموجبه شرعا وقانونا، وقد تتفق دلالاته وقد تختلف، وهل تقبل ذلك منهم معتمدين على عبارة العلماء (لا مشاحة في الاصطلاح) أي لا حرج على أي باحث أو عالم أن يستخدم المصطلح وإن اختلف مع الآخرين؟ أقول نعم

* أستاذ التعليم العالي في الجامعات الإسلامية الإفريقية وعضو في قسم الفتوى بالمجلس الأعلى للأئمة ورئيس مؤسسة الزكاة والوقف والأعمال الخيرية ورئيس هيئة المراقبة الشرعية في التمويل الإسلامي في أبيدجان كوت ديفوار

صحيح ، ولكن نحن في حاجة إلى ضبط تلك العبارة ؛ لأن المصطلح وعاء يوضع فيه مضمون من المضامين ، ولذلك كان تحديده من المهمات عند أهل الفن؛ ثم قال أحد علمائهم: من الضروب التي تقع عليها فتنة المصطلحات: تحديد المصطلحات تحديدا خاطئا منحرفا ، فيخرج عن ذلك تحريف المعاني والأحكام التي تتخرج على هذه الأنفاظ والمصطلحات ، ومن هنا تنشأ فتن وفساد عريض بين الناس؛

السيناريو الثاني: قتل وتمثيل على المسائل الخلافية أو الإجهادية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تتكر باليد ، وليس لأحد أن يلزم الناس بإتباعه فيها ، ولكن يتكلم بالحجج العلمية ، فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه ، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه)؛ وإذا كانت المسائل الاجتهادية لا تتكر باليد ، فكيف يقاتل عليها أقوام ، ويسفكون عليها دماء الأبرياء المحرمة ؟ واسمعوا إلى هذا الأثر عن (نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس صنعوا ، وأنت ابن عمر ، وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال : (يمنعني أن الله حرم دم أخي) فقالا: ألم يقل الله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) فقال : قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لغير الله).

السيناريو الثالث : تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار كفر أن ذلك من ضروريات الدين .

إن تحديد مفهوم دار الإسلام ودار الحرب مسألة خلافية ، وهم اختاروا قولاً واحداً من أربعة الأقوال الواردة في مفهوم الدار ، بينما قد تعددت الأقوال لعدم وجود نص صريح يحدد المعنى المراد بدار الإسلام ؛ معاشر علماء أفريقيا اسمعوا إلى جواب هذا السؤال : هل تتحول دار الإسلام إلى دار حرب أو دار كفر ؟ وقد اختلف العلماء في جوابه إلى أربعة أقوال ، وعند البعض إلى خمسة آراء ، وقد أوصلها البعض إلى سبعة مذاهب ، فلماذا يقتل المسلم على اختيارات بعض المجتهدين الذي يحتمل اجتهاده على الخطأ والصواب .

ويرى بعض الباحثين: أن أغلب تلك الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي بمثابة الدور المركبة التي ابتدعها حكمها شيخ الإسلام ابن تيمية .

السيناريو الرابع : القتل والاقتتال بعد نطق الشهادتين غلو وتطرف

يا معاشر علماء أفريقيا اسمعوا إلي هذا الحديث الذي عن قتل المسلم ولو كان مسلماً جديداً ، عَنِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ ، فَقَاتَلَنِي فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ لَازَمَنِي بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ: أَسَلَّمْتُ لِلَّهِ أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقْتُلْهُ» . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَطَعَ يَدِي . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقْتُلْهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، وَأَنْتَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ» .

وحديث أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما يوضح ذلك أكثر ، عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَرْقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ ،

قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرَمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَّغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أَسَامَةَ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُنْعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسَلِمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسَلِمْتُ يَوْمَئِذٍ. وَفِي رِوَايَةٍ ثَالِثَةٍ: «فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «لَمْ قَتَلْتَهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْجَعُ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفْرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرُ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

السيناريو الخامس: لا عصمة ولا أمان لأحد في العالم إلا بإيمان فمن هو المؤمن أو

المسلم

أما قولهم لا عصمة إلا بإيمان أو أمان، فهذا قول صحيح ؛ ولكن نتساءل من هم المؤمنون معصومون دماءهم ؟ ومن هو المسلم؟ وما كيفية ثبوت عقد الإسلام للشخص المعين؟

قد ذكر أهل العلم قديما وحديثا مستتدين إلى الأدلة الشرعية أن هناك ثلاثة خصال؛ وهي :

1. الكلمة أي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أو ما يقوم مقامها، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة ، ومن القرآن قوله تعالى : (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) مجرد القول : السلام عليكم يمنع القتل، ويقول ابن حجر (من أظهر شيئا من علامات الإسلام لم يحل دمه). (2)

2. ثبوت الإسلام للمعين بالدلالة

إذا قال الشخص قولاً أو فعل فعلًا خاصًا بالمسلمين كالآذان والصلاة الخاصة بالمسلمين أو يلبس لباس يخص المسلمين كالمرأة المتحجبة بالزي الاسلامي ؛ وعند الشوكاني كل ما يشعر بالإسلام من قول أو فعل ، وقد جاء في الحديث : (إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا)،

3- الحكم بالإسلام بالتبعية للأبوين المسلمين أو أحدهما فالأصل الإسلام في كل من ولد لأبوين أحدهما أو كلاهما مسلم، وحديث (ما من مولود يولد على الفطرة) دليل على ولادته بالإسلام .

وإذا نظرنا إلى هذه الخصال نجد أنها تعم جميع المسلمين في مشارق الأرض حتى الجماعات أتباعها يدخلون فيها ، ونحن لا نكفرهم بأعمالهم ، بل هم مؤمنون فاسقون .

أما المعاهدون من أهل الذمة والمستأمنين والمهادنين فإنهم معصومون دماء وأموالا ، والأدلة على ذلك كثيرة ، ومنها (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم) ، ومعناه أن الواحد منهم إذا أجار كافرا وآمنه على دمه ، حرم دمه على المسلمين كافة وإن كان المجير أدناهم مثل أن يكون عبدا أو امرأة أو عسيفا تابعا أو ذلك ليس لهم أن يخفروا ذمته .

السيناريو السادس : حكم الدعوة قبل الاقتتال والقتل

هذه المسألة مسألة خلافية بين الفقهاء ، وقد اختلف الفقهاء في المسألة إلى ثلاثة مذاهب؛ بل ذكر صاحب كوثر المعاني الدراري في كشف خبابا صحيح البخاري لأحد علماء الشناقطة الشيخ محمد الخضر الشينقيطي أربعة أقوال، أولا: القتال قبل دعاء الكفار إلى الإسلام حرام إن لم تكن بلغتهم الدعوة ، وإن كانت بلغتهم فالدعاء مستحب ، هذا مذهب الشافعي .

والثاني : يجب الإنذار مطلقا قاله مالك وحكاه المازري وعباض .

والثالث : لا يجب مطلقا

والرابع : يجب إن لم تبلغهم الدعوة وإن بلغتهم فيستحب .

وقد ورد في تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أرسل سلمة بن قيس الأشجعي إلى بعض أهل فارس فقال : ((انطلقوا بسم الله في سبيل الله...وإذا انتهيت إلى القوم فادعهم إلى الإسلام فإن قبلوا فاقبل منهم....، فإن أبوا فادعهم إلى الجزية ، فإن قبلوا فضع عليهم بقدر طاقتهم....فإن أبوا فقاتلهم)) ، هذه الدعوة كانت في خلافة عمر بن الخطاب ، وهذا يدل على أن الدعوة قبل القتال والقتل هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين من بعدهم .

السيناريو السابع : قتال الكافر الأصلي والكافر المرتد

يقول أحدهم : إن قتال المرتدين مقدم على قتال الكفار ، والمرتدون هم العدو القريب وهم بقية المسلمين ، والعدو البعيد هم اليهود والنصارى ، والجهاد في سبيل الله يكون ضد المرتدين قبل غيرهم ؛ لأن رأس المال مقدم على الربح .

وهذا التقسيم عند غيرهم من العلماء هو الكفر الأصلي والكفر الطارئ ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، والأهم من ذلك هو الحكم فعندهم يجوز قتلهم جميعا .

ويقول أحد الباحثين في كتاب (دراسات تصحيحية في مفاهيم الجهاد) ؛ بعد تقسيم الكفر إلى الأصلي والطارئ : وليس معنى أن نحكم عليهم بالكفر أن نقاتلهم أو نستحل أموالهم ونساءهم ، فالحكم على المرء بالكفر شيء واستحلال ماله ودمه شيء آخر ، وليس كل كافر حلال الدم والمال بدليل النهي عن قتل النساء والأطفال والعجزة والأجراء ((الموظفين)) والرهبان والرسل ((والسفراء)) ونحوهم ، فلا يجوز قتل هؤلاء مع أنهم كفار أصليون ولا يجوز أخذ أموالهم ، وأيضا وليس معنى أن نحكم عليهم بالكفر أن نخاطبهم بهذا الاسم في كل المناسبات وفي كل المواطن بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى الملوك في عصره وخاطبهم بألقابهم مثل كسرى عظيم الفرس وقيصر

عظيم الروم، ودعاهم إلى الإسلام ولم يسبهم ولم يقل إلى الملك الكافر فلان. والكفر الطارئ هو الردة، وتصدر من المسلم الذي ثبت له عقد الإسلام بيقين، ومن الخطأ العظيم أن نحكم عليه بالكفر بسبب ارتكابه عملاً يظن أنه مكفر فنخرجه من دائرة الإسلام، وقد يكون متأولاً أو جاهلاً أو كبيبة من الكبائر، واسمعوا إلى هذا الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برأ كان أو فاجراً، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم، برأ كان أو فاجراً، وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبة على كل مسلم، برأ كان أو فاجراً، وإن عمل الكبائر». وفي رواية أخرى «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برأ كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر والصلاة واجبة على كل مسلم برأ كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر»؛ وما هي الكبيرة يقول أحد العلماء الشافعي: لم أقف للكبيبة على ضابط سالم من الاعتراض.

السيناريو الثامن: قتل المسلمين إن تترس بهم الكفار

لماذا يا فل؟ لأن القرآن يقول: ((والفتنة أشد من القتل)) أي فتنة الكفر أشد من القتل!!!

هذا الكلام يركز على مسألة فقهية: هي التترس، وهو في اللغة الاحتماء والتوقي بشيء، وأما في الاصطلاح فصورتها قديمة هي: (أن يتترس المشركون بمن في أيديهم من المسلمين، إما ليدفعونا عنهم، وإما ليفتدوا بهم نفوسهم).

والتترس في القانون الدولي العام: استخدام الرهائن كدروع بشرية يحتمي بها. وبعد هذه التعريفات نجد المسألة في فرعين:

- 1) حكم قتال العدو وإذا تترس بأسرى من المسلمين في حال الضرورة، وقد اتفق العلماء على وجود حال الضرورة، ولكنهم اختلفوا في تقدير حال الضرورة.
- 2) حكم قتال العدو إذا تترس بأسرى المسلمين في حال غير الضرورة. والمقصود بغير الضرورة حيث لا داعية إلى رمي الأسرى ولا ضرر على الأمة الإسلامية وقواعدها، وفيها قولان: تجوز المقاتلة وقيل لا.

وقد ذكر العلماء ضوابط الأعمال التي تدخل في فقه التترس، وإليكم تلك الضوابط: الضابط الأول: أن الأسير المتترس به هو عادة أسير لدى الكفار، قد يقتل في أي وقت، وينتظر القتل على أيديهم. ولذلك على قائد الإسلام أن يدرس المفسدة والمصلحة في قتل الأسير أو الأسرى المسلمين.

الضابط الثاني: وجود حال الضرورة

الضابط الثالث: أن لا تكون ثمة وسيلة أخرى للإضرار بالعدو إلا من خلال التترس بهم. الضابط الرابع: أن تكون المصلحة راجحة في قتل الترس وبه يحفظ الإسلام والمسلمون.

الضابط الخامس: أن تكون المصلحة من قتل الترس مصلحة عامة لكل الأمة.

الضابط السادس: أن يكون التترس في حال الحرب وهو المصافة والمواجهة العسكرية،

الضابط السابع : أن يتحاشى ضرب المتترس بهم ما أمكن ذلك .
تطبيق مفهوم التترس في عملياتهم في بلاد المسلمين :

الوجه الأول : اختلاف حال المتترس به عن حال الحراس والمارة والمتواجدين في مكان الحادث ، المتترس عادة هو أسير لدى الكفار لا يستطيع مغادرة المكان ولو رأى الخطر قادما عليه .

الوجه الثاني : أن مفهوم التترس تطبيقه خاص بحال الحرب، والكفار المستهدفون عادة بالتفجيرات ليسوا في حال حرب مع المسلمين .

الوجه الثالث : إن الفقهاء في القول الراجح اشترطوا وجود حال الضرورة وأين حال الضرورة في قتل المسلمين في دول الساحل .

الوجه الرابع : قد بين الفقهاء أن قتل المسلمين الذين تترس بهم الكفار لا يجوز إلا إذا لم يتأت قتل الكفار بدونهم .

الوجه الخامس : ومن ضوابط جواز قتل المتترس هو وجود المصلحة القطعية وأين تلك المصلحة في عملياتهم ؟

الوجه السادس : أن قتل المتترس بهم كما يظنون في عملياتهم يأتي قصدا لا تبعا، ثم يقولون : هؤلاء القتلى (يبعثون على نياتهم) وهذا صحيح، وأنتم الذين قتلتموهم (تسألون عن دمائهم) .

السيناريو التاسع : جواز فتنة الخروج على الحكام المرتدين وقتالهم بغض النظر عن القدرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته بظلم الأئمة ، ومع ذلك لم يجز الخروج عليهم ، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها : ((السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده ، فإن عدل كان له الأجر ، وكان على الرعية الشكر، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر)) ، وفي رواية أخرى : ((لا يحملنكم إساءته على أن تخرجوا من طاعته)) ، ومما يؤكد تحريم الخروج مهما كان خلقه ومعصيته هو هذا الحديث : عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برًا كان أو فاجرا، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم، برًا كان أو فاجرا، وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبة على كل مسلم، برًا كان أو فاجرا، وإن عمل الكبائر». وفي رواية أخرى «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برًا كان أو فاجرا وإن عمل الكبائر والصلاة واجبة على كل مسلم برًا كان أو فاجرا وإن عمل الكبائر».

وما هي الكبيرة: عند القرأفي: (الكبيرة ما عظمت مفسدتها والصغيرة ما قلت مفسدتها)، وقد ورد في القرآن لفظ الكبائر كقوله تعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)، وفي الحديث الصحيح (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : الإشرار بالله وعقوق الوالدين ...) فالكبيرة الأولى في كتاب الكبائر للذهبي الشرك بالله .

وما حكم السلطان أو الرئيس الذي يأتي بالكبائر كالإشراك بالله في الحكم ، فهل نكفره ؟ وإذا كان الجواب نعم ، وهذا خلاف ما في أصول السنة ، وفي كتب العقيدة : (إن

أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة ، لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج .

فكل ذلك يؤكد على عدم جواز الخروج على الإمام السلطان .

السيناريو العاشر : التقتيل فرع عن التكفير

إن الجماعات أول ما يقومون به هو تكفير المجتمعات والأفراد والعلماء والحكام والدول، وبموجب هذا التكفير يتحول هؤلاء الأفراد والعلماء والحكام إلى كفار مرتدين، ولذلك وضعوا قاعدتهم (التقتيل فرع عن التكفير) .

وهل هذه القاعدة صحيحة وحجة؛ لأن عند الأصوليين حجية القواعد؟

وقد نجد أحاديث كثيرة تبين خطورة تكفير المسلم ، ومنها :

1) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيما رجل قال لأخيه (يا كافر) فقد باء بها أحدهما).

2) عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك)

ومن المعلوم أن التكفير : شهادة بانتفاء الإيمان بالكلية عن مسلم أو مسلمين أو دولة إسلامية حيث إنه يتعلق بالكفر الأكبر دون الأصغر .

ومن هنا نتساءل من يُصدر حكم التكفير؟

الحكم بالردة والخروج من الدين من صلاحيات القضاة، ومن مبادئ تصنيف الأحكام التي ندعو إليها أن حكم التكفير من الأحكام القضائية.

السيناريو الحادي عشر: يقولون: الجهاد ماض، ونقول الجهاد حرام!!!

إن ما لاحظناه في أثناء هذا البحث أنهم لا يتحدثون عن محرمات الجهاد ، وأعني: متى يحرم الجهاد؟ أو على من يحرم الخروج للجهاد؟ مع أن الفقهاء لم يغلطوا عن ذلك، بل يقولون: الجهاد ماض إلى يوم القيامة؛ ونقول: الجهاد حرام على أكثرهم، وهم لا يعلمون؛ ولماذا ؟

لأن أغلب الشباب والشابات المنضمين إلى صفوف الجماعات في أوروبا والشرق الأوسط والمغرب العربي وحتى في غرب إفريقيا لهم أبناء وأمهات في قيد الحياة ، ومتى يحرم الجهاد عند الفقهاء ؟ الجواب هو ما يلي:

أولا : وجود الوالدين أو أحدهما في قيد الحياة .

وقد بوب البخاري أحد أبواب صحيحه ب (باب الجهاد بإذن الأبوين) ولذلك جاء في الفتح، قال جمهور العلماء : يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما، بشرط أن يكونا مسلمين ؛ لأن برهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين فلا إذن. والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها حديث معاوية بن جاهمة أن أباه : (جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله أردت الغزو، وجئت لاستشيرك، فقال هل لك من أم؟ قال نعم، قال : الزمها)، وفي حديث آخر : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد ، فقال : (أحي والداك ؟) قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد).

وقال الشوكاني : (يجب استئذان الأيوين في الجهاد ، وبذلك قال الجمهور وجزموا بتحريم الجهاد إذا منع منه الأيوان أو أحدهما) ؛ فهؤلاء الشباب يقعون في محذور شرعي، وهو تقديم فرض الكفاية، وهو الجهاد (في حال جهاد الطلب) على فرض العين وهو بر الوالدين .

وإذا قمنا بتعداد الشباب الذين التحقوا بالجماعات في سوريا والعراق والمغرب العربي، وغرب إفريقيا وعلى سبيل المثال نجد دولة أوروبية خرج منها أكثر من ألف شاب وشابة، ويوجد فيهم حوالي ستمائة شاب ما دون عشرين سنة ، وفي دولة أفريقية خرج منها حوالي أكثر من ألفين ، وفي أخرى أفريقية غادر منها ما يقارب حوالي ألف وخمسمائة شاب ، وفي إحدى دول غرب أفريقيا مع الأسف الشديد خرج منها ما يقارب ستين ألف، ناهيك عن كم خرج من بقية الدول الأفريقية!!!

ولكن الذي لا ريب فيه هو أن جل هؤلاء الشباب إن لم يكن كلهم يذهبون إلى ما يسمونه بالجهاد بغير إذن آبائهم وأمهاتهم ، بل يلتحقون بغير علمهم ، أو يكذبون على آبائهم بذكر اتجاه معاكس، كما أخبرني والد أحدهم بأن ابنه استأذنه أن يذهب إلى مكة المكرمة لأداء العمرة ، ثم بعد مرور أيام اتصل بوالده بأنه قد وصل إلى سوريا، فهؤلاء يقعون في محذور شرعي كما سبق في الحديث وأقوال الفقهاء .

ثانيا : المدين بدين أو ديون الناس

وفي الأم للإمام الشافعي : لا يجوز له الجهاد ، وعليه دين إلا بإذن أهل الدين، وسواء كان الدين لمسلم أو كافرا .

ثالثا : عند شدة قوة الكفار وضعف قوة المسلمين عددا وعدة

إذا زاد الكفار على المسلمين ، وغلب على ظننا الهلاك بلا نكاية وجب علينا الفرار لقوله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) .

من يمنعه الأمير من الخروج إلى الجهاد فلا ينبغي له أن يخرج بدون موافقته . فتبين من كلام الفقهاء أن الجهاد له شروط وأحكام وضوابط كغيره من فرائض الإسلام .

رابعا : منع الأمير أحدا من الخروج

من يمنعه الأمير من الخروج إلى الجهاد فلا ينبغي له أن يخرج بدون موافقته . فتبين من كلام الفقهاء أن أمر الجهاد ليس صورة واحدة ، بل له شروط وأحكام وضوابط كغيره من فرائض الإسلام ، والأصل فيه أنه فرض كفاية ، وقد يكون فرض عين ، وقد يكون محرما ، وإذا كان الأمر كذلك فلا ينقاد أحد من المسلمين بنظر أي قائل إلا العلماء الراسخين والحكام .

الخاتمة: نقول في خاتمة المطاف إن مدار هذه السيناريوهات هو التكفير المنتهي بالتقتيل والتمثيل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قلة زادهم في فنون الفقه وأصول الفتاوى ولذلك نحتم في هذه الخاتمة على التعلم والعلم، والتفقه والفقه، قبل الإفتاء في مسائل الجهاد، ونرشد الحيران منهم إلى كتاب (صناعة الفتوى وفقه الأقليات) لفضيلة الدكتور الشيخ عبد الله بن بية، واستعنوا بكتاب أصوله (أمالي الدلالات ومجالي

(الاختلافات).

ومن الغريب أن نجد شذمة قليلين أو متفقيين، وليسوا ولاة ولا قضاة ، فهم يكفرون عباد الرحمن، وبناء على فتاواهم التكفيرية التي نرى أن الدرجة العليا من أحكامهم أنها أحكام اجتهادية ، ودرجتها الدنيا أنها أحكام جهلية، وأي الحكمين يجوز قتل المسلم أو الإنسان عليه؛ الأول يحتمل الخطأ والصواب، والثاني يغلب عليه الخطأ والجهل؛ لأن أنواع الحكم الشرعي في نظري هي ما يلي:

(1) حكم الله ، وإدراكه في الأحكام الاجتهادية صعب جدا، (2) الحكم السلطاني (3) الحكم القضائي (4) الحكم الاجتهادي (5) الحكم الإفتائي (6) الحكم البياني (7) الحكم التقليدي (8) الحكم الوضعي ، وما من حكم من الأحكام، التي تصدر من الفقهاء والمتفقيين إلا وهو يصنف من بين تلك الأحكام الثمانية، فيجب على العلماء والمكلفين أن يدركوا درجات الأحكام السالفة وبها يقتضي تنفيذ الأحكام التكليفية ، وبعد معرفة تلك الدرجات يدرك المكلف بهذا الحكم بل الفقيه أو المتفقه الذي أصدر ذلك الحكم أن حكمه الذي قد يؤدي إلى تكفير شخص، أو سفك دم امرئ، أو أخذ مال أحد بغير حق ، ليس سوى حكم اجتهادي، لا يدري . هو نفسه ولا عالمه .

هل أصاب أم أخطأ، ولما القتل عليه ؟؟؟ وهكذا بقية الأحكام الإفتائية والأحكام البيانية والأحكام التقليدية؛ أما الأحكام السلطانية والقضائية فتصاحبهما قوة السلطان، ويجب تنفيذها طوعا أو كرها أو ترى أمام بابك من لا يعصونه، ويفعلون ما يؤمرون؛ ويبقى الحكم الوضعي، وهو المرتبة الأخيرة الحاكم بالقانون الوضعي، فأحيانا ترتفع درجة حكمه إلى الأحكام السلطانية والقضائية، وأحيانا تنزل إلى درجة الأحكام الاجتهادية، كوقفه العمل بنصوص القرآن والسنة، أو درجة الأحكام البيانية والتقليدية، ولذلك في الاعتراض عليه خطر كبير على المعترضين، «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله تميز الاسلام بالوضوح والشمول والاستشراف

ليس كدعوة الإسلام، بين الدعوات السماوية والأرضية دعوة تضارعها في وضوح الهدف وتشبهها في شمول المنطلق وبتخطيط المناهج العلمية ولوقاية الإنسان من شر نفسه وللسير به في دروب الهداية والعمل المثمر حتى يجني ثمار عبقرياته و يستغل ما حوله من خيرات خلقت له ووعده الله بالتمتع بها و التمكن من ناصيتها.

خصائص الحضارة الإسلامية

بقلم : الشيخ عبد القادر عاشور*

يقول الله تعالى في كتابه العزيز «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَرًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (غافر: 82) إن الله تعالى في هذه الآية الكريمة يخبرنا عن أقوام كانت لهم حضارات عتيده ذهبوا وبقية آثارهم تدل عليهم

يُعرف الحضارة بعضُ الكاتِبين في تاريخها بأنّها: «نظام اجتماعي يُعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي»، وتتألف الحضارة من العناصر الأربعة الرئيسية: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، ولاطراد الحضارة وتقدمها عوامل مُتعددة: جغرافية، واقتصادية، ونفسية؛ كالدين واللغة والتربية، ولأنهيارها عوامل هي عكس تلك العوامل التي تؤدي إلى قيامها وتطورها، ومن أهمها: الانحلال الخلقي والفكري، واضطراب القوانين والأنظمة، وشيوع الظلم والفقر، وانتشار التشاؤم واللامبالاة، وفقدان الموجهين الأكفاء، والزعماء المخلصين.

وقصة الحضارة تبدأ منذ خلق الإنسان، وهي حلقة مُتصلة تسلمها الأمة المتحضرة إلى من بعدها، ولا تختص بأرض ولا عرق، وإنما تنشأ من العوامل السابقة التي ذكرناها، ولا يكاد تخلو أمة من تسجيل بعض الصفحات في تاريخ الحضارة، غير أن ما تمتاز به حضارة عن حضارة إنما هو قوة الأسس الذي تقوم عليه، والتأثير الكبير الذي يكون لها، والخير العميم الذي يُصيب الإنسانية من قيامها، وكلما كانت الحضارة عالية في رسالتها، إنسانية في نزعتها، خلقية في اتجاهاتها، واقعية في مبادئها، كانت أخلد في التاريخ، وأبقى على مرور الزمن، وأجدر بالتكريم.

والحضارة الإسلامية حلقة من سلسلة الحضارات الإنسانية، سبقتها حضارات، وتبعتها حضارات، وقد كان لقيام الحضارة الإسلامية عوامل، ولانهيارها أسباب، وليس هذا هو موضوع حديثي، وإنما أريد أن نتحدث عن دورها الخطير في تاريخ التقدم الإنساني، ومدى ما قدمته في ميدان العقيدة والعلم، والخلق والحكم، والفن والأدب من أيادٍ خالدة على الإنسانية في مختلف شعوبها وأقطارها.

إن أبرز ما يلفت نظر الدارس ل الحضارة الإسلامية أنها تميزت بالخصائص التالية:

1- أنها قامت على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة: فهي أول حضارة تنادي بعبادة الله الواحد الذي لا شريك له في حكمه ومملكه، وهو وحده الذي يُعبد، وهو وحده الذي يُقصد: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** الفاتحة:5 وهو الذي يُعزُّ ويُدل، ويعطي ويمنع، وما من شيء في السموات والأرض إلا وهو تحت قدرته وفي مُتناول قبضته.

هذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوى الإنسان، وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف والأقوياء ورجال الدين، وتصحيح العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، وتوجيه الأنظار إلى الله وحده، وهو خالق الخلق ورب العالمين،

* امام خطيب مسجد عمر بن الخطاب باريس الدائرة 11

كما كان لهذه العقيدة أثرٌ كبيرٌ في الحضارة الإسلامية، تكاد تتميز به عن كل الحضارات السابقة واللاحقة، وهو خلؤها من كل مظاهر الوثنية وآدابها وفلسفتها في العقيدة والحكم والفن والشعر والأدب، وهذا هو سرُّ إعراض الحضارة الإسلامية عن ترجمة «الإلياذة» وروائع الأدب اليوناني الوثني، وهذا سرُّ تقصير الحضارة الإسلامية في فنون النحت والتصوير، مع تبريزها في فنون النقش والحفر وزخرفة البناء.

إن الإسلام الذي أعلن الحربَ العوانَ على الوثنية ومظاهرها - لم يسمح لحضارته أن تقوم فيها مظاهر الوثنية وبقاياها المستمرة من أقدم عصور التاريخ؛ كتماثيل العُظماء والصالحين والأنبياء والفاحين، وقد كانت التماثيل من أبرز مظاهر الحضارات القديمة والحضارة الحديثة؛ لأن واحدة منها لم تذهب في عقيدة الوحدانية إلى المدى الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية. وهذه الوحدة في العقيدة تطبع كل الأسس والنظم التي جاءت بها الحضارة الإسلامية؛ فهناك الوحدة في الرسالة، والوحدة في التشريع، والوحدة في الأهداف العامة، والوحدة في الكيان الإنساني العام، والوحدة في وسائل المعيشة وطراز التفكير، حتى إن الباحثين في الفنون الإسلامية قد لاحظوا وحدة الأسلوب والذوق في أنواعها المختلفة، فقطعة من العاج الأندلسي، وأخرى من النسيج المصري، وثالثة من الخزف الشامي، ورابعة من المعادن الإيرانية - تبدو رغم تنوع أشكالها وزخرفتها ذات أسلوب واحد وطابع واحد.

2- وثاني خصائص الحضارة الإسلامية: أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة؛ فالقرآن الذي أعلن وحدة النوع الإنساني على الرغم من تنوع أعراقه ومناخه ومواطنه، في قوله - تعالى - : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ الْحَجَرَات: 13** إن القرآن حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة - جعل حضارته عقداً تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب والأمم، التي خفقت فوقها راية الفتوحات الإسلامية؛ ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة؛ إلا الحضارة الإسلامية، فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب، فأكثر رواة الحديث والذين عرفوا بأصحاب الكتب الستة المشهورة هم من العجم وليس من بلاد عربية الإمام البخاري والإمام مسلم صاحبا الصحيحين وأصحاب السنن الإمام أبو داود والإمام الترمذي والإمام النسائي والإمام ابن ماجه، حتى الذين قعدوا قواعد اللغة العربية وكان لهم الريادة في ذلك هم من العجم أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، وفي غير ذلك من العلوم كالفلسفة والطب والفلك مثل الكندي والغزالي والفارابي وابن رشد وابن سينا، وأمثالهم ممن اختلفت أصولهم، وتباينت أوطانهم - ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنساني السليم.

3- وثالث خصائص الحضارة الإسلامية: أنها جعلت للمبادئ الأخلاقية المحلَّ الأول في كل نظمها، ومُختلف ميادين نشاطها، وهي لم تتخل عن هذه المبادئ قط، ولم تجعلها وسيلة لمنفعة دولة أو جماعة أو أفراد، في الحكم، وفي العلم، وفي التشريع، وفي الحرب، وفي السلم، وفي الاقتصاد، وفي الأسرة؛ لقد رُوِّعيت المبادئ الأخلاقية تشريعاً وتطبيقاً، وبلغت في ذلك شأواً سامياً بعيداً لم تبلغه حضارة في القديم والحديث، ولقد تركت الحضارة

الإسلامية في ذلك آثاراً تستحق الإعجاب، وتجعلها وحدها من بين الحضارات التي كفلت سعادة الإنسانية سعادةً خالصة لا يشوبها شقاء. أخرج البزار في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وأخرج أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه (مَا خَطَبْنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ: لَا إِيْمَانَ لِمَن لَّا أَمَانَةٌ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَن لَّا عَهْدُ لَهُ)

- ورابع هذه الخصائص: أنها تؤمن بالعلم في أصدق أصوله، وترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها، فهي خاطبت العقل والقلب معاً، وأثارت العاطفة والفكر في وقت واحد، في البخاري عن علي موقوفاً «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»
مراعاة العقل :

وهي مميّزة لم تشاركها فيها حضارة في التاريخ، وسرُّ العجب في هذه الخِصِيصة من خصائص الحضارة الإسلامية: أنها استطاعت أن تنشئ نظاماً للدولة قائماً على مبادئ الحق والعدالة، مرتكزاً على الدين والعقيدة، دون أن يُقيم الدين عائقاً من دون رقيِّ الدولة واطراد الحضارة؛ بل كان الدين من أكبر عوامل الرقي فيها، فمن بين جدران المساجد في بغداد ودمشق والقيروان، والقاهرة، وقرطبة وغرناطة - انطلقت أشعة العلم إلى أنحاء الدنيا قاطبة. إن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي لم يفصل فيها الدين عن الدولة، مع نجاتها من كل مآسي المزج بينهما كما عرفته أوروبا في القرون الوسطى، لقد كان رئيس الدولة خليفة وأميراً للمؤمنين؛ لكن الحكم عنده للحق، والتشريع للمُختصين فيه، ولكل فئة من العلماء اختصاصهم، والجميع يتساوون أمام القانون، والتفاضل بالتقوى والخدمة العامة للناس؛ وانظروا إلى السمو الأخلاقي في كلام النبي صلى الله عليه وسلم «وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» 1، وما أخرج به البزار في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ».

التسوية بين جميع الناس:

هذا هو الدين الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية، ليس فيه امتياز لرئيس، ولا لرجل دين، ولا لشريف ولا لغني؛ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ الكهف: 110.

- وآخر ما نذكر من خصائص الحضارة الإسلامية: هذا التسامح الديني العجيب، الذي لم تعرفه حضارة مثلها قامت على الدين؛ إن الذي لا يؤمن بدين ولا بإله لا يبدو عجيباً إذا نظر إلى الأديان كلها على حد سواء، وإذا عامل أتباعها بالقسطاس المستقيم؛ ولكن صاحب الدين الذي يؤمن بأن دينه حق، وأن عقيدته أقوم العقائد وأصحها، ثم يتاح له أن يحمل السيف، ويفتح المدن، ويستولي على الحكم، ويجلس على منصة القضاء، ثم لا يحمله إيمانه بدينه، واعتزازه بعقيدته على أن يجور في الحكم، أو أن ينحرف عن سنن العدالة، أو يحمل الناس على اتباع دينه، إن رجلاً مثل هذا لعجيب أن يكون في التاريخ، فكيف إذا وُجد في التاريخ حضارة قامت على الدين، وشيّدت قواعدها على مبادئه، ثم هي من أشد ما عرف التاريخ تسامحاً وعدالة ورحمة وإنسانية؟!

هذا ما صنعتته حضارتنا، وحسبنا أن نعرف أن حضارتنا تتفرد في التاريخ بأن الذي أقامها دينٌ واحدٌ؛ ولكنها كانت للأديان جميعاً.

السَّيِّحُ الْهَبِيبُ الْمَسْتَاوِي رَحِمَهُ اللهُ اَضْرَ عُنُقُودَ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ مَنَهِجِ الدَّعْوَةِ الدِّينِيَّةِ وَوَجْهَانِ الْمَلِكَةِ الشَّعْرِيَّةِ

بقلم: الاستاذ سُوف عبيد

إِنَّ الْمَتَأَمَّلَ فِي سِيَرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ فِي إِفْرِيْقِيَّةِ عَلَى تَوَالِي الْعُصُورِ وَتَتَالِي الْأُمَرَاءِ وَالسَّلْطَانِينَ وَالْبَايَاتِ يَلَاْحِظُ

أولاً - أنهم دأبوا على نشر العلم في الحواضر والبوادي والجبال والفيافي فعاشوا بين الناس عيشة البساطة والشطف ونشروا اللغة العربية والقرآن الكريم فبفضلهم أضحى اللسان العربي سائداً في ربوع بلاد الأمازيغ بل امتدت بفضلهم لغة الضاد إلى ما وراء الصحراء في إفريقية وانتشرت على مدى السواحل الشمالية من الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من صقلية إلى الأندلس والبرتغال

ثانياً - أن الكثير من أولئك الفقهاء والعلماء قد كانوا من المدافعين عن حمى الأوطان أو مرابطين في قلاع الثغور أو مشاركين ضد الغزاة أو حاملين للألوية في الفتوحات من بينهم - عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المولود حوالي سنة 74 للهجرة وقد شارك في الوقائع البحرية فأسره الروم ثم اقتدي وفك من الأسر فأرسل مقطوعة إلى أهله يقول فيها

ذكرت القيروانَ فهاج شوقي *** وأين القيروان من العراق
مسيرة أشهر للعيس نصاً *** على الخيل المضمرة العتاق
فبلغ أنعمًا وبني أبيه *** ومَنْ يَرْجَى لَنَا وَلَهُ التَّلَاقِي
بأن الله قد خلى سبيلي *** وَجَدْنَا الْمَسِيرُ إِلَى مِزَاقِ

ومِنَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَمَلُوا لَوَاءَ الْجِهَادِ الْإِمَامِ سَحْنُونَ الْمَوْلُودِ سَنَةَ 160 هـ فَقَدْ كَانَ كَثِيرًا مَا يَتِمُّثَلُ بِقَوْلِهِ

كل شيء قد أراه نُكْرًا *** غيرَ ركز الرَّمحِ فِي ظَهْرِ الْفَرْسِ
وقيام في حناديس الدجى *** حارسًا للقوم في أقصى الحرس

ثالثاً - أن عددا كبيرا من أولئك العلماء والفقهاء كانوا مستقلين عن الحاكمين غير راغبين في تولي المناصب مثل منصب القضاء والحسبة وتدريس أبناء الطبقة الحاكمة فعاشوا من كد يمينهم ومن كسبهم في سائر ضروب المعاش وكانوا ينتصرون للضعفاء ناصحين لأولي الأمر ولا يخشون في الحق لومة لائم وإن كتب التراجم والطبقات زاخرة بعديد الأمثلة من بينها ما أورده حسن حسني عبد الوهاب فقد أورد أن الإمام سحنون الذي توفى سنة 240 للهجرة اشترط على الأمير الأغلبى عندما قلده القضاء بعد إباح أن يبدأ بتطبيق الأحكام على أهل بيته وأعوانه وأن لا يتسلم عطية أو مالا منه فقبل الأمير منه ذلك وأورد كذلك حسن حسني عبد الوهاب أن محرز بن خلف كتب رسالة إلى الأمير الصنهاجي يقول فيها وقد أوصى إليه ببعض تلاميذه - أنا رجل عرف كثير من الناس اسمي وهذا من البلاء وأنا أسأل الله أن يتعمدني برحمة منه وفضل وربما أتاني المضطر يسأل الحاجة فإن تأخرت خفت وإن ساعدت فهذا أشد وقد كتبت إليك في مسألة رجل من الطلبة طولب بدراهم ظلما ولا شيء عليه فعامل فيه من لا بد لك من لقائه واستح

ممن بنعمته وَجَدَتْ لذيذ العيش واستعنَّ في أمرك بمن يتقى الله
 أما الملاحظة الأخيرة فإنها تتمثل في أن العديد من أولئك الفقهاء والعلماء في تونس
 وإفريقية تسبب إليهم أشعار قليلة أو كثيرة و لم يخالف هذه الوتيرة حتى الفقيه ابن
 عرفة والمؤرخ ابن خلدون ويمكن أن نعدَّ البعض منهم شعراء بارزين في عصورهم مثل
 مُحرز بن خلف الذي عاصر القرن الرابع والخامس الهجري ومثل إبراهيم الرياحي الذي
 عاصر القرن التاسع عشر الميلادي وقد سار على هذا المنهج في قرص الشعر كثيرٌ من
 الشيوخ المعاصرين المتخرجين من الزيتونة نذكر منهم خاصة الشيخ محمد الطاهر ابن
 عاشور والشيخ الخضر حسين وقد نسج على منوالهما الشيخ الحبيب المستاوي الذي
 نعتبره آخر عنقود الفقهاء الذين جمعوا بين منهج الدعوة الدينية ووجدان الملكة الشعرية
 فكيف تجلت هذه الثنائية في شعر الشيخ الحبيب المستاوي ؟

في أكثر من قصيدة في ديوان - مع الله - نجد ذكر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور

الذي يعتبره رمزا للعلم والإصلاح حيث يقول في تأبينه

هو الغيث منهلًا وقد أصبحت به	***	مراعٍ أهل العلم خير المراعٍ
أفاض علي الدنيا فضائل روحه	***	وحبب في الإسلام أهل الذرائع
بأخلاقه المثلى وحكمته التي	***	تشرّبها من فيض تلك المنابع
سنبقى . مع التوفيق . جند محمد	***	ونعمل للإصلاح دون تراجع
فتمّ مطمئن البال خلفك نخبة	***	سَمَوْا بالمعاني عن رخيص المطامع
وداعا أيا شيخي وشيخ زمانه	***	وداع مُحَبٍّ للمُهَيِّمِن خاضع . ص 31

ونراه يذكر شيخه أيضا حتى وهو بعيد عن أرض الوطن في قصيدة قالها وهو بالمغرب الأقصى . ص 39 .

وللعلم فإن الشيخ محمد الفاضل بن عاشور يُعتبر سليل المدرسة الإصلاحية التونسية
 تلك التي ظهرت منذ منتصف القرن التاسع عشر وقامت على دعامتين أساسيتين
 متلازمتين هما الأصالة والتحديث، الأصالة في الدعوة إلى التمسك بقيم الإسلام وجوهره
 ومقاصده والتحديث في الدعوة إلى روح العصر والاستفادة من منجزات الغرب تلك هي
 الثنائية التي تأسست عليها الحركات والمبادرات الاجتماعية والأدبية والفنية والسياسية
 عامة ولكن بدرجات متفاوتة أحيانا بين هذا الطرف وذاك وإنما نستشف في أغلب دواوين
 شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين المنهج الإصلاحية الداعي إلى العدل والعلم حيناً
 وإلى التحرر من الاستعمار حيناً ثم إلى الخروج من مظاهر التخلف ومواكبة التقدم حيناً
 آخر كما في قصيد - من وحي المولد - للشيخ المستاوي حيث يقول

إيه يا أمة الخلود لماذا فاتك الركب ؟ أفصحي بالمقال

ليت شعري كم ذا يدوم هُجُوعٌ ؟ هل أصيب اتصالنا بانفصال ؟

هل فتنا ببهرج وطلاء	***	وانتشنا بفاغ الأمال
ونبذنا تراثنا بازدراء	***	في عُقوق وِقْحَة وابتذال
أقصر القلب والعزائم حارت	***	وأصيب الذكاء بالأمحال
فأفيقوا . فديتكم . من سبات	***	ارجعوا . ويحكم . بدون مطال

حيث يُقرُّ الشيخ أن الأمة العربية الإسلامية أضحت متخلفة عن ركب الحضارة ويرجع
 ذلك إلى عدة أسباب من بينها خاصة استفحال الوهن في النفوس وضمور الذكاء في

الرؤوس ونسمعه ينادي أن أفيقوا واستيقظوا وإن المتأمل في مسيرته يلاحظ أنه دأب على العمل التربوي والنقابي والخطابي والدعوي والصحفي والإذاعي على مدى أغلب فترات حياته التي لم تخل من الانخراط في النشاط السياسي أيضا وقد سمح له ذلك بالوقوف أمام بعض الرؤساء والملوك منشدا قصائده التي كانت مناسبة لإعلان منهجه الإصلاحية القائم على النقد لبعض الأوضاع مما يجعلها تخرج إلى حد بعيد في كثير من الأحيان عن تقاليد غرض المدح وتضع الإصبع على الجرح فعندما أنشد قصيده أمام الملك فيصل ملك العربية السعودية قد استهلها بالتغني بمدينة القدس قائلاً

رحاب القدس أهزج في رباها *** أهيم بها وأفنى في علاها
وأسبح في خضم من رؤاها *** فكيف أطيق عيشا في سواها
ولهي دمي وأنفاسي وقصدي

وفي غضون وسط القصيدة نراه يقول
لقد عبث اليهود بأرض قدس *** وقد ملأوا البلاد بكل رجس
ويمضي اليوم يجري خلف أمس *** ونحن نعيش في أمل التأسّي

ولا نأتي بما يُغني ويُجدي

وفي القصيدة بعض المقاطع التي تُعتبر جريئة بل ربما لا تتناسب المقام الملكي حيث يقول في أسلوب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنه أسلوب مشوب بكثير من الزجر والتوبيخ كذلك

ألا عودوا إلى سُبُل الرشاد وذودوا عنكم شبح الفساد
ولبوا من دعا للاتحاد به قد جاءنا خير العباد
وليس الجمع يُكسر مثل فرد

ونراه كذلك يؤكد على ضرورة صدق الحكام وصلاح العلماء وهو بتركيزه على هذه الثنائية الأساسية إنما يؤكد على تلازم الثقايف والسياسي ضمن جدلية قائمة أساسا على الإخلاص حيث يقول

ولو صدق الكبار الحاكمونا *** ولو صلح الشيوخ العالمونا
لما عبث القساة الظالمونا *** ولا غلب الخصوم الماكرونا
ولا درج البغاث على التحدي

ويتدارك الشيخ المستاوي هذه اللهجة الصريحة والحادة في آخر القصيدة قائلاً في أسلوب المجاملة والكياسة هو أقرب إلى الدبلوماسية ذلك أن القصيدة قيلت بمناسبة مشاركته في الوفد الرسمي للحجيج التونسيين إذ يقول

تحايانا إلى الشعب السعودي *** وفيصله المعلم بالصمود
ملك شأنه حفظ العهد *** وقاه الله من حسد الحسود
فلم يحفل بمدح أو بنقد
من الخضراء والبطل الحبيب *** أخيك الطيب القلب النجيب
نراعي رفقة الزمن العصيب *** وما قد شد من نسب قريب
ونأتي للحمى في خير وفد

ومثل هذه القصيدة قصيدةً أخرى في لُحمتها وسداها قالها في الملك الحسن الثاني ملك المغرب حيث بدأها بوصف رحلته على الطائرة ثم استعرض أمجاد المغرب المختلفة عبر العصور ومذكرا إياه بنسبه بالرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم بدأ في إسداء النصيحة من باب الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في قوله

الملك عدل والشعوب وديعة *** والحب يجرحه عنيف الملام

من صانه لا شك سوف يصونه *** أبدا فيضحى فوق كل خصام

يا أيها الملك المنيع جنابه *** اسلم لشعبك حافظا لذمام

ارجع به نحو الأصالة إنها *** أصل الخلود ومرهم الأسقام

فالمنهج الإصلاحى في شعر الشيخ الحبيب المستاوي قائم على القيم الأصيلة تلك القيم التي كانت أساس الحضارة العربية الإسلامية عندما كانت في أوج ازدهارها لذلك نراه ينظر إلى بعض المظاهر الدخيلة على المجتمع نظرة ازدراء واستنكار حيث يقول

فترى الفتاة خليعة مردولة *** ممسوخة في الشكل والهنّام

وترى الفتى متخنثا متشبهها *** بالمائسات وساخرا بملام

زحفت قشور حضارة مزعومة *** نحو الشباب فغاب في الأوهام

هلا أعدتم يا مليك بناءه *** في الحكم في التعليم والإعلام

إن مثل هذه القصائد التي توجّه بها الشيخ الحبيب المستاوي إلى بعض الرؤساء والملوك والتي دعا فيها إلى منهجه الإصلاحى لابدّ من التساؤل إلى أي حدّ كان الذين خاطبهم فيها مثلوا جزءا من الفساد الذي واجهه وهل كان بإمكانهم الإصلاح المنشود؟ وهل كان شاعرا وواعيا بذلك ؟

في هذا السياق من الضروري أن نبحث بعمق وبكل موضوعية في العلاقة التي كانت بين الشاعر الحبيب المستاوي والرئيس الحبيب بورقيبة وكيف تعايش في فترة من الفترات المنهج الإصلاحى لدى الشيخ الزيتوني ذي الأس التقليدي مع المشروع التحديثي لدى الزعيم بورقيبة ذي التوجه الغربي بالرغم من أن دينك البعدين يمثلان طرفي معادلة سادت على مدى القرن العشرين في تونس وقد تراوحت العلاقة بينهما بين المدّ والجزر حيناً وبين الاختلاف والائتلاف حيناً وبين الوئام والانسجام أحيانا وقد مثل شعر الشيخ الحبيب المستاوي صورة لبعض تلك الفترات من العلاقة بين المشروعين المتناقضين في الظاهر لكنهما يمثلان في الباطن جدلية التطور في تاريخ المجتمعات تلك الجدلية التي لم نظفر بمعادلتها الصحيحة إلى اليوم غير أنني أرى أنها تتطلب بعض الشروط من بينها

- إذكاء حركة الاجتهاد والتجديد ضمن مقاصد الإسلام السّميحة

- اعتبار المنجزات الإنسانية في العالم من مساهمات العرب المسلمين فيها أيضا

- الابتعاد عن الولاءات الخارجية فلا ولاء إلا للأوطان وحدها

- إبراز قيمة العمل والكسب والسعي نحو الترقّي

- إشاعة مناخ الحوار وقبول الاختلاف في كنف الاحترام

فلقد قال أسلافنا الصّالحون - رأيي صحيح يحتمل الخطأ ورأيك خطأ يحتمل الصّواب

ففي ذلك فليتنافس المتنافسون والله وليّ التوفيق

سوف عبّيد - رادس 7 مارس 2014

لا تكليف إلا بقدر استطاعة

بقلم: الاستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي هريرة عبد الرحمان بن صخر رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلائهم على أنبيائهم».

رواه البخاري ومسلم

راوي هذا الحديث هو أبو هريرة رضي الله عنه كني بأبي هريرة لأنه كان يرعى غنم أهله وكان له هرة صغيرة وكان يجعلها في الليل في شجرة وإذا كان بالنهار ذهب بها معه فكني بها. وقد روى ابن عبد البر أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى عنده هرة فكناه بها فقال يا أبا هريرة.

هو عبد الرحمان بن صخر: قدم المدينة في سنة سبع للهجرة بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- قال سليم بن حيان سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول «نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيأ لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي وكنت أخدم إذا نزلوا وأحدو إذا ركبوا فزوجنيها الله والحمد لله الذي جعل الدين قواما وأبا هريرة إماما».

- وعن ابن كثير قال حدثني أبو هريرة قال: ما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني قلت وما أعلمك بهذا يا أبا هريرة.

قال: إن أمي كانت مشركة واني كنت ادعوها إلى الإسلام وكانت تأبى فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابكي فقلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام وكانت تأبى عليّ واني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أهد أم أبي هريرة فخرجت أعدو لأبشرها بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتيت الباب إذ هو بحاف وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشخشة رجل فقالت يا أبا هريرة كما أنت ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وتمجلت من خمارها فقالت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي من الفرح كما بكيت من الحزن فقلت يا رسول الله أبشريا رسول الله فقد استجاب الله دعائك وقد هدى الله أم أبي هريرة. فقلت يا رسول الله: ادع الله أن يحبيني وأمي إلى عباده المؤمنين ويحبهم إلينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم حبب عبيدك هؤلاء إلى عبادك المؤمنين فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني.

ويجيب أبو هريرة من يمكنهم أن يتساءلوا عن السر والسبب لكثرة ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث فيقول الأعرج قال قال أبو هريرة: إنكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأحاديث وما بال الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث وأن أصحابي من المهاجرين كانت شغلهم صفقتهم في الأسواق وأن أصحابي من الأنصار كانت شغلهم أراضيتهم والقيام عليها واني كنت امرأ معتكفا وكنت أكثر من مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا وأن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال: من يبسط ثوبه حتى افرغ من حديثي ثم يقبضه فانه ليس ينسى شيئا سمعه مني أبدا فبسطت ثوبي أو قال ردائي ثم حدثنا فقبضته إلي فوالله ما نسيت شيئا سمعته منه. وأيم الله لولا آية في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم بشيء أبدا (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب).

* كان رضي الله عنه من فقراء الصحابة فعن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول: والله إني كنت لأعمد بكبدي على الأرض من الجوع واني كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع.

* وكان أبو هريرة رضي الله عنه من العباد، فعن خالد بن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول أسبح بقدر ذنبي.
* وعن نعيم بن المحرر عن أبي هريرة انه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به.

* وعن ابن عباس فروخ الحريري قال سمعت أبا عثمان النصري يقول تضيفت أبا هريرة فكان هو وامراته وخادمه يتعقبون الليل ثلاثا يصلي هذا ثم يوقظ هذا فيصلي هذا ثم يوقظ هذا فيصلي.
* روى البخاري عنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ثمانمائة ما بين صحابي وتابعي.

* سكن أبو هريرة المدينة وتوفي بها سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة رحمه الله ورضي الله عنه.
* روي عن أبي هريرة خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا اتفق على ثلاثمائة وخمسة وعشرين حديثا انفرد البخاري بثلاثة وتسعين ومسلم بمائة وسبعين حديثا.

هذه أيها القارئ نبذة مختصرة مما أورده الشبرخيتي في شرحه للأربعين النووية عند ترجمته لهذا الصحابي الجليل الذي حاول النيل منه والتشكيك في نزاهته بعض المتحاملين على السنة النبوية الطاهرة الذين ساءهم أن يسخر لها أبو هريرة وأمثاله من الصحابة ومن تبعهم من السلف الصالح أعمارهم وكل جهودهم في سبيل إبلاغها صافية نقية صحيحة محققة مدققة كما نطق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبار أن هذه السنة هي المتممة والمبينة للكتاب (أوتيت القرآن ومثله معه) حديث

«لتبين للناس ما نزل إليهم» آية.

أما الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه فهو قوله «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه» فالرسول صلى الله عليه وسلم هو في هذا المقام مشرع باعتباره لا ينطق عن الهوى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) آية. (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحبكم الله) آية. (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) آية (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) آية.

فالنهي من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهي من الله ولا سبيل إلى القول بأنه لا نهي إلا ما نهى الله عنه فهذا إيمان ببعض وكفر ببعض وأصحاب هذا القول عرفوا منذ القرون الأولى للإسلام ولا يزال لهم أتباع يتسمون بالقرآنيين كذبا وبهتاناً!! فالقرآن الذي يدعون التمسك به تدعو آياته إلى أتباع من أنزل عليه القرآن الذي هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والذي لولاه ما عرفنا الله ولا آمننا به، ولا عرفنا الخير من الشر والحلال من الحرام.

وترى هؤلاء ينكرون ما اجمع عليه علماء الأمة من المحرمات فيطلبون للانتهاء عن الوقوع في موبقة «الخمير» الإتيان بأية فيها التصييص الصريح بالأحرف المعينة «ح» و«ر» و«م» ضاربين عرض الحائط بما حرمه رسول الله متجاهلين ان صيغ التحريم هي حرام، واجتنبوا وانتهوا، ولا تقربوا، وقد قال العلماء: الأمر يقتضي الوجوب والنهي يقتضي التحريم، تلك مسلمات وأجدية في القواعد والأحكام الشرعية ولكن ما الحيلة مع هؤلاء الذين أغلق عليهم باب العمل وفتح لهم باب الجدل.

«ما نهيتكم عنه فاجتنبوه» الاجتناب الكامل إلا لضرورة وعند ذلك «الضرورات تبيح المحظورات» كأكل الميتة وشرب الخمر عند الإكراه أو لإساعة الغصة. فالانتهاء كلي وبذلك يتحقق الامتثال الحقيقي «سمعنا واطعنا».

والانتهاء الكلي والفوري عما نهانا الله ورسوله عن إتيانه وهو علامة الإيمان الصادق وغير ذلك هو الإتيان للهوى وهو التشهي.

ومن رحمة الله بنا معاشر المسلمين أن المنهيات هي الأقل (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم...) فالمحرمات قليلة جدا لا تكاد تذكر بالنسبة لما أباحه الله وأحل له لعباده المؤمنين (واحل لكم ما وراء ذلك) والقاعدة أن الأمر مباح إلى ان يقوم الدليل على حرمة.

والمحرمات التي نهانا الله عنها وأمرنا باجتنابها هي الخبائث ما ظهر منها وما بطن، وهي شر كلها وضرر كلها ولم يجعل الله تبارك وتعالى فيها للمؤمن مصلحة أو فائدة ثم إن الله تبارك وتعالى ما حرم ونهى عن فعل شيء وأمر باجتنابه إلا وفتح في مقابل ذلك أبوابا في الحلال والمباح فيها العوض والبديل وزيادة.

والأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانتهاء كليا عما نهى عنه ودعا إلى اجتنابه في المقدور والمستطاع إذ بإمكان العبد المؤمن الممثل لأمر الله ورسوله صلى الله

عليه وسلم أن يترك إتيان المحرمات «الخبائث» ولا يترتب له عن ذلك الامتثال وتلك الطاعة أدنى ضرر بل بالعكس من ذلك يتحقق له أولاً وقبل كل شيء الامتثال والطاعة الحقيقية لله سبحانه وتعالى وتلك علامة صدق الإيمان والإخلاص فيه، وتتحقق له مصالح لا تحصى ولا تعد في روحه وجسده وما له وعرضه وفي عاجل حياته الدنيا وآخرته.

وقد ورد في الحديث الشريف أن من ترك أمراً في الحرام كان يقدر عليه خشية لله إلا وأعطاه الله له في الحلال المباح، وما أكثرها الأمثلة العملية التي عاشها ويعيشها الكثير من عباد الله الذين سلكوا الطريق المستقيم، طريق الطاعة والامتثال، طريق الاجتناب لما نهى الله عنه وحرمه على عباده المؤمنين.

«وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم» إنها خصوصية للرسالة المحمدية، رسالة التيسير والسماحة ورفع الحرج إذ (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به)، وما أكثرها النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحو منحى التخفيف والتيسير ورفع الحرج وفي الحديث الشريف «لا ضرر ولا ضرار»، «وإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» وفي الآية الكريمة (لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) و(فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) وجماع كل ذلك قوله جل من قائل (فاتقوا الله ما استطعتم) أما قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) آية فالمراد منها هو امتثال أمره واجتناب نهيه ويفسرهما قوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أي استغراق العمر كله إلى الوفاة بالتقوى.

فالمشقة في الشريعة الإسلامية تجلب التيسير: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق» وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراماً وقال (من رغب عن سنتي فليس مني) حديث. وقد كان صلى الله عليه وسلم يصوم ويفطر ويصلي وينام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء.

وقليل يدوم خير من كثير لا يدوم (خير الأعمال أدومها وإن قل) حديث. إن المطلوب من المسلم فهو أداء ما فرض الله وما زاد على ذلك فيكفي منه ما قل، المهم هو الإخلاص والمهم هو النية (ونية المرء خير من عمله) حديث (ويبلغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله) حديث.

لأجل كل ذلك وتخفيفاً على الأمة وتيسيراً عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم) حديث.

فأوامر الإسلام -مما سوى الأركان- لا حصر لها ولا عد والإتيان عليها جميعها والقيام بها كلها فوق الطاقة والمستطاع إذ الإنسان له جوانب وأبعاد متعددة وعليه لغيره حقوق كثيرة ولا بد من أدائها (إن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولربك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه) حديث. والحمد لله فإن أداء كل هذه الحقوق في دين الإسلام ممكن إذا اقترن بنية فيصبح كل ذلك من أداء حق الله (قل إن صلاتي ونسكي

ومحياي ومماتي لله رب العالمين) آية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن في بضع أحدكم صدقة) حديث.

لكل ذلك ولغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم) وقال لمن اقسام أن لا يزيد على المفروضات (أفلق صاحبكم إن صدق) حديث. واختصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجواب لمن جاؤوه يريدون أن يدلهم على عمل صالح يلزمونه فقال (قل آمنت بالله ثم استقم) حديث (لا تغضب) (أطب مطعمك) (كن باراً بوالديك) (أعني على نفسك بكثرة السجود) (احفظ عليك لسانك) وفي كل ذلك إرشاد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبواب الفوز برضوان الله والنجاة من عقابه وعذابه وهي كثيرة، وهي يسيرة ليس منها التشديد والتضييق على النفس والتضييق عليها وتحميلها ما لا طاقة لها به، فذلك من التشديد والتضييق والتعسير الذي ما انزل الله به من سلطان، وليس من طبيعة رسالة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام الذي قال الله في حقه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) آية. وقال فيه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) آية. ويختتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بقوله تحذيرا لامته واتعاضا بمن سبقها من الأمم (فإنما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) فالإسلام دين عملي ايجابي وواقعي ينبذ الشعارات والأقوال غير المقترنة بالأفعال. فقد غضب الله على من سبقنا من الأمم لكثرة مسائلهم وجدلهم (وإذا أراد الله بعبد خيرا أغلق عليه باب الجدال وفتح له باب العمل) حديث. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال) حديث. فالسؤال المذموم هو السؤال المقصود منه الجدال الفارغ، أما السؤال المراد منه حصول الاقتناع وتحقق الطمأنينة فقد ورد الكثير منه في القرآن مقترنا بالجواب الشافي وقد سأل الأنبياء عليهم السلام ربههم وأجابهم بما حقق لهم الطمأنينة. فالذي لا يريده الإسلام من المسلم هو الأسئلة التي لا فائدة من ورائها والتي تشغل عن العمل وتعطل الامتثال لأوامر الله. وقد فعل ذلك بنو إسرائيل فيما قصه علينا القرآن «البقرة، والمائدة...» وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من أشد الناس عذابا من سأل عن أمر كان حلالا مباحا مسكوتا عنه -رحمة بالأمة- فحرم بسبب سؤال ذلك السائل. والأمثلة على كراهة السؤال الذي لا فائدة إضافية من إلقائه عديدة من ذلك تساؤل ذلك الصحابي تعقيبا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا» قال: أي في كل عام يا رسول الله؟ قال ذلك ثلاثا فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم».

فالاختلاف المذموم على الأنبياء والمؤدي للهلاك هو الاختلاف المؤدي إلى الكفر أو ما يؤدي إلى الكفر أما الاختلاف الذي يقصد منه إظهار الحق وتبين المسائل فهو محمود ومأمور به وقد اجمع على جوازه العلماء قديما وحديثا والله الهادي إلى سواء السبيل.

فصل من كتاب: صالح البكاري سفيراً بالمملكة المغربية

العلماء والإصلاح الديني

صدر أخيراً عن «دار نظر» للنشر كتاب: صالح البكاري سفيراً بالمملكة المغربية وهو خلاصة تجربة ثرية للمؤلف استقبلته الساحة الثقافية في تونس والمغرب باهتمام كبير ونوه بما تضمنه عديد الكتاب والمثقفين وتعميماً للفائدة وتفاعلاً مع ما ورد في الكتاب من تحليل للشأن الديني في المغرب نورد للقراء هذا الفصل: «العلماء والإصلاح الديني».

وُظف الاهتمام والعناية بالزوايا لترويضها بقدر ما سيستخدمان في مرحلة أولى في وجه المد القومي والبعثي والناصرى، الذي كان أذاه سياسياً أكثر ممّا كان روحياً، من حيث هدفه الداعي إلى إزالة الملكيات وتثوير الأوضاع، إلى جانب مقاومة النزعات المادّية والإلحادية. وفي مرحلة ثانية في وجه تنامي التيارات الإسلامية الناشئة بتأثير ما هبّ على البلاد من ريح الإخوان المسلمين من مصر، ودواعي الصّحوة، وصدى الثورة الخمينية، وتغلغل الفكر الشيوعي، والنزعة الوهابية التي عاد بها المجاورون أو طلبة العلوم الشرعية في الحرمين، إلى جانب فقايق سلفية أخرى علمية وجهادية وقتالية، وجماعات تكفير وإرهاب ذات خلايا نائمة استيقظ المغرب في مطلع هذا القرن على أفاعيلها الفظيعة. من هنا برزت الحاجة المتأكّدة إلى ضبط الشؤون الدينية لمواجهة التفاعلات المرتبسة بالإسلام والتي أخذت تغزو الجامعات والمساجد والساحات العامّة. وكان الهدف من هذا الضبط، كما قال الحسن الثاني، أكثر من مرّة، ضمان الأمن الروحي، وحراسة الثوابت الدينية، ممثلة في مضمون بيت ابن عاشر المتقدّم. واستحدثت لهذه الغاية عديد المؤسسات، بعضها تحت وصاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أخطر جهاز إيديولوجي. وهي الوزارة التي لا تعادلها وزناً وأهمية في هيئة الحكومة إلا وزارتا الدفاع والداخلية، وبعضها الآخر رديف لعمل هاته الوزارة. وتم تأميم المساجد منذ بداية الثمانينات في القرن الماضي، وأصبحت تحت مراقبة النظارة العلمية، وأسست المجالس العلمية، بمعنى علوم الدين، على صعيد الأقاليم ومحلياً، يتوجّها المجلس العلمي الأعلى الذي يرأسه الملك. كما تأسست الرابطة المحمّدية للعلماء، والهيئة العليا للإفتاء، ودار الحديث الحسنية، إلى جانب كليات الشريعة ومعهد محمّد السادس للقراءات والدراسات الإسلامية، ومعهد محمّد السادس لتكوين الأئمّة والمرشدين والمرشحات، إضافة إلى ما تقدّم من مبادرات يتولّى تنفيذها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وإذاعة محمّد السادس للقرآن الكريم، واستمرار إصدار مجلة دعوة الحق. هذه المؤسسات المتعدّدة لها وظيفتان أساسيتان، أولاهما تعليم الشعائر والفرائض ونشر تعاليم الدين والتفقه فيه.

والثانية هي التصدي لكل انحراف وتأويل خاطيء من قبل المنتصبين تطوعا للخوض في المسائل الدينية بغير علم، ولغايات غريبة أو مناقضة لما عليه إجماع الأمة، وما دأبت عليه من تقاليد سمحة، وفي طليعة هؤلاء المتقولين المتطرفون والإرهابيون الذين يهددون، إذا ما أفسح المجال لهم، بتقويض الفكر الديني السائد، وتغيير بنية المجتمع وتبديل نمطه لغايات سياسية مطالبها دنيوية، وإن كانت متدثرة بلباس ديني.

اجتهدت السلطة في تنظيم الحقل الديني، وأمدت هيئاته المذكورة بما تحتاجه بشريا وماديا، من خلال التعيين والتوظيف. ولم تتأخر نتائج هذه الجهود في الظهور من خلال العناية بالقرآن حفظا وترجيلا وتجويدا، والقراءة برواية ورش عن نافع، وفق السنة المتبعة بهدف تحصين مذهب أهل البلاد من تأثير كل طارئ أو شاذ أو خارج. غير أن الإصلاح ظل هيكليا، قليل النفاذ إلى أعماق المسائل بقدر اهتمامه بما يسمي المعلوم من الدين بالضرورة.

والسبب في ذلك أن هذه المهمة ما تزال في بداياتها والمدى طويل، والشكليات والطقوس غالبية على الجوانب الروحية عند كثير ممن عهد إليهم بإنجاز المهمة. قلما يعمل هؤلاء بدعوة الحسن الثاني العلماء إلى تجاوز تعليم القواعد الدينية البسيطة إلى مواجهة الغزو الخارجي والمادي، وإلى النظر في القضايا المستجدة، ومواكبة تطورات العصر. ولتحقيق هذه الدعوة ينبغي إعادة النظر في تكوين المكونين، وتغيير الخطاب الديني انطلاقا من تغيير الفكر الديني أساسا. وهذه المسألة ليست خاصة بالمغرب، بل شاملة لكل العالم الإسلامي الذي ما يزال التعليم الديني فيه عتيقا في حمولته ومواده ومناهجه، يعتمد لغة الوعظ والإرشاد بخطاب موجه أساسا إلى المؤمنين، في حين يفترض أن يوجه أكثر إلى غير المؤمنين وسائر الخصوم، لا سيما أن البراهين والحجج المقدمة للرد والإقناع كلها ذاتية داخلية، أي مستمدة من النص الديني وفق فهم معين، كالأب الذي يتحدث عن جمال ابنه وذكائه، فإذا سئل عن دليل على ذلك يقول إنها أمه هي التي تؤكد ذلك. تأثير العلماء والفقهاء، فيما عدا تعليم مبادئ الدين للنشء الذي غالبا ما يكون من أوساط شعبية متواضعة الإمكانيات متمسكة بشكليات العادات والتقاليد، تأثير ضعيف ومحدود. لأن تكوينهم تقليدي، ولكونهم موظفين لا متطوعين في سبيل الله، وأحرص ما يكونون على صفاتهم ومنزلتهم الاجتماعية. والمؤسسات الدينية ينظر إليها على أن لها غايات سياسية، ويوصف المشرفون عليها هم أيضا بكونهم علماء السلطان. وبلاغهم للناس إذا صدر يغمره خضم بلاغات أتباع الإسلام المنفيلت، الذي يروج في القنوات الفضائية الدعوية وفي الشبكة العنكبوتية لقراءات دينية ضالة، مغرقة في التهويل والتأويل اعتمادا على الاقتطاع من غير سياق وتزييف تأويل كتاب الهدى والرحمة. إزاء هذا الوضع كان لا بد من تدخل الدولة ممثلة في رئيسها أمير المؤمنين، فيما كان المتوقع ممن يسمون «العلماء العاملين» أن يبادروا من تلقاء أنفسهم بإصلاح الفكر الديني وتطويره لواقب العصر وليقرأ القرآن هنا والآن غضا غريضا كما لو أنه نزل على كل مؤمن في مكانه وزمانه سيكون الدين بذلك فاضحا لكل زمان ومكان لا أن تصب الأحكام القديمة

على المسائل الحديثة صبا، وكأنّ الزمان قد توقّف والبشرية لم تتطوّر. ولكن في الثقافة الدينية السائدة مفارقة عويصة الحل مالم ينشأ فكر ديني بما هو تمحض نظري وعملي للمسألة الدينية. وتقوم هذه الثقافة على تناقض بين ما يسمى التدين الشعبي التقليدي الذي تشجع عليه السلطة السياسية وترعاه، وبين تدين التوير والعقلانية الذي يفتح أبواب التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ليجعل من الإنسان خليفة الله في الأرض بحق.

وقد تجلّى عدم مواكبة طائفة من هؤلاء العلماء للتطوّر الاجتماعي، وما يجب أن تكون عليه النهضة بالفكر الديني من خلال اعتراضهم على دعاة خطة إدماج المرأة في المجتمع. فكانوا في صفّ المقلدين وذوي الغايات السياسية. وقد تناسوا إن لم يكونوا جاهلين أنّ أول من صدّق النبي وأسلم هي زوجته خديجة، أمنت به وثبتت قلبه في بداية الرسالة. وعندما قرّر الملك محمد السادس أخذ الموضوع بيده، توقيا من انقسام المجتمع المغربي، كما سلف، وقفّ عدّة علماء يوصفون عادة بالاعتدال والوسطية، ومن بينهم وزير الأوقاف رافضين كل تغيير لا يحترم الضوابط الشرعية والشؤون الإسلامية السابق ولا تسأل عن حقيقة ماهية هذه الضوابط وعن علاقتها بالدين أصلا. وربما كان من هذه الضوابط اعتراض بعضهم على إبدال كلمة نكاح بلفظ زواج، وفق الاستعمال الفقهي القديم، وكأنه ليس في الإمكان أبدع ممّا كان. وحده مدير دار الحديث الحسنية، وهو رجل قانون متمرس عارف بدينه أيّد المبادرة. فتألّب عليه بعضهم بدعوى أنه ليس من أهل الاختصاص، وكأنّ العلماء طبقة اكليروس، رغم أنه لا رهبانية في الإسلام. ومن المعلوم أنّ كثيرا من الفقهاء المراجع يعتبرون أنّ الاجتهاد يكون في النصّ القطعي أيضا. أما النصّ غير قطعي الدلالة فهو محل تأويل ونظر بطبيعته. ولم يحسم الخلاف حول أحكام مدونة الأسرة إلا بتدخل سُمّي تحكيما ملكيا، انتصر للمطالبين بتطوير منزلة المرأة وحقوقها. ولم يسمع بعد ذلك صوت للمناهضين لهذا التوجّه الحداثي من العلماء. وقد أخذ على هؤلاء العلماء أيضا صمتهم إزاء العملية الإرهابية التي جدّت بالدار البيضاء إذ لم يُدنها المجلس العلمي إلا بعد شهر من وقوعها. وفي غير المغرب أيضا بعض من يسمى بالمراجع الدينية التي تأبى تكفير دعاة الإرهاب ومقترفيه بحجّة أنه لا يمكنهم أن يشقوا عن صدور الناس. ومثل هذا الموقف هو تشجيع للإرهابيين ومساعدة لهم على استغلال النصّ الديني في غير وجه مقبول إيمانيا وعقليا، بما فيه الاستناد إلى آراء ابن تيمية المقتطعة من سياقها التاريخي، متناسين أن كلا راد ومردود عليه.

إنّ الدين متجل، ولكنّ التدين مصطبغ بواقع وبيئة ينشأ فيها الفكر الديني، حسب ظروف المؤمنين ونوعية معاملاتهم وحاجاتهم في معاشهم وتصوّرهم لمآلهم. وما نشأة الفرق والمذاهب الإسلامية إلا انعكاس لاختلاف الظروف وتباين الرؤى. بل إنّ أغلبها ذو بعد سياسي من حيث تركيزها بالأساس على الإمامة، وقيادة الأمة أو الجماعات، شأنها شأن الأحزاب السياسية في العصر الحديث. وهذا معنى ثان من كون الدين صالحا لكل مكان وزمان، صنو ما يسمّى بفقهِ المقاصد ومراعاة المصالح المرسلّة، والدعوة إلى

التيسير، ما دامت الغاية إسعاد الناس وضمنان الخير لهم في المعاش والمعاد. وقد استُحدث الإفتاء كما يدل عليه المعنى الأصلي للفظ لفتح المغالق والتسهيل من خلال تدبر النص الديني وتأويله لتحقيق هذه الغايات، وللتوفيق بين مقتضيات الأوامر والنواهي وبين مصالح الناس، وفض القضايا والمسائل الحادثة والعارضة. وقد أصبح الإفتاء بضاعة رائجة، يتجه أكثرها إلى المنع والتحریم حتى في ما يمكن تحليله. وفي فتاوى التحليل أيضا غرائب النوادر هي أقرب إلى الخور والحمق.

ومنها فتوى من كان إمام جمعة مشهور، عضوا بالمجلس النيابي، أحلّ معاشره الزوجة المتوفاة، أو ذلك القيادي في حزب إسلامي لا يرى بأسا، من الناحية الدينية، بأن يباشر الأزواج بعضهم بعضا في نهار رمضان. إزاء بالدين، وتلويت لسعة الدين عند المؤمنين ناهيك عن تبشيع صورته وصورة أتباعه وعلمائه بالخارج من خلال الهوس بالجنس.

سبق ذكر مدير دار الحديث الحسنية الأستاذ أحمد الخمليشي الذي لا يقل علما عن العلماء وإن كان لا يرى نفسه من بينهم. كما لا بد من ذكر عبادي الأمين العام لرابطة العلماء المحمدية لسعة علمه وجودة أسلوبه في التبليغ وإن كان متهما بميولاته السلفية. هذان وأمثالهما قلة يعول عليهم في إنارة السبيل والنهوض بالفكر الديني. وقد عرفت عن قرب شيئا متمسكا بالثوابت، متشبعا بروح العصر. هو المجاهد أبو بكر القادري، رحمه الله، خاض النضال الوطني في مقاومة الاستعمار السياسي والثقافي في بواكيره. وجاهد في سبيل منعة الإسلام بالمغرب من المسخ والنسف. وكان أول من أسس المدارس للبنات. وفسح مجال الاختلاط في المدارس الأخرى التي أنشأها، حينما كان بعضهم لا يرى فائدة في تعليم الفتيات. بل إنه رفع الأمية عن زوجته. وهو الحافظ التالي للقرآن، القيم على الزاوية القادرية بمدينة سلا. كان يقول لي إن علماء الزيتونة الذين عرفهم أكثر انفتاحا من علماء القرويين، وإن حاجة الدين إلى علماء لا يقتصر علمهم على القديم حاجة متأكدة. وقد بث هذه الآراء في كثير من مؤلفاته الشاملة لقضايا المجتمع والسياسة والدين.

مثل هذه المواقف والآراء تؤكد حاجة المجال الديني إلى ثورة من قبيل ثورة أتباع المذهب البروتستنتي على الكاثوليكية «الشهداء لله». هؤلاء كما في العبارة القرآنية، وهو معنى تسميتهم، ثاروا على الفكر الديني المسيحي الكاثوليكي لا على المسيحية، بما فيه من تقليد مهيمن وانغلاق متعسف. وكان سلاحهم في ذلك الإقبال على العلم. وأخضعوا الفكر الديني للفكر العلمي المنهجي. وطوّروا الاقتصاد والسياسة والفلسفة. فعمت نتائج ذلك التطوير الذي كان نابعا من طلب العلوم ومُدارستها وتبسيط أضوائها على الأناجيل لفهمها فهما محايثا للعصر ومقتضياته. وأصبح فكرهم قاعدة النهضة الأوروبية. وقبلهم «إن ما وجدناه في التوراة»: كان الحبر اليهودي، موسى بن ميمون القرطبي يقول: «موافقا للعلم قبلناه. وما وجدناه مخالفا له تأولناه بل إن لفظ كتاب بما هو منبع العلم مشتق في اللاتينية من لفظ الحرية، في حين أنه مشتق في العربية من التقييد والربط، رغم أن الآية صريحة في الدعوة إلى فك القيود وفتح المغالق في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا». وفي تاريخ الإسلام ما كان يمكن أن يؤدي إلى نفس النتيجة، وهو مذهب المعتزلة، لولا أنه استعمل نفس أساليب الإسلام السنّي الرسمي في معاملة المخالفين له، عندما أمر المأمون بالبحث في عقائد الفقهاء وتكفيرهم في حال رفضهم اتباع مذهب الاعتزال. فظل هذا المذهب منحصرًا في نخبة ضيقة، تقصر بحثها على الفلسفة الدينية دون التفات إلى الحياة العملية ومقتضياتها. وبقي منقطع الصلة بعموم المسلمين وما ورثوه من تقليد ديني، يكتفي فيه المؤمنون بإقامة الشعائر دون نظر أو تساؤل.

أصدر القرضاوي فتوى أجاز فيها إقبال المغاربة على الاقتراض من البنوك التقليدية لاقتناء «المساكن قياسا لهم على إخوانهم في ديار الاغتراب الذين»، أجاز لهم المجلس الأوروبي للإفتاء «وهو رئيسه» هذا الاقتراض، مراعاة لظروفهم واستتناسا بالفقه الحنفي الذي يُجيز التعامل بالعقود الفاسدة خارج دار الإسلام ردّ عليه المجلس العلمي الأعلى ردًا عنيفًا، تمثل في الدفاع عن «المذهب المالكي، وضرورة مراعاة المفتي لخصوصيات البلد وأهله، وعدم معرفته بالواقع المغربي، وأهلية العلماء المغاربة دون سواهم للنظر في القضايا الفقهية الخاصة بأهل بلادهم، وإساءة القرضاوي للمغرب والمغاربة عندما قاس بلادهم على بلاد المهجر. جدل و منافحة يتعلقان بشكل الفتوى ومنطلقاتها السياسية والأخلاقية، ولكن من دون تصدّ لجوهر المسألة، وهو الفصل في الموضوع بالإعلان عن حليّة أو حرمة الاقتراض من البنوك التقليدية المسماة عند النافرين منها بنوكا ربوية، ودون الاستناد إلى حجج عقلية أو دينية لإبطال رأي هذا المفتي.

ثمّة معطيات أساسية معروفة لدى المختصين في تاريخ الحضارة الإسلامية أدركها بعض العلماء واستفادوا منها لبناء رأي ينسف أساس مثل هذه الفتوى، فأحلّوا الاقتراض بفائدة. ومن هذه المعطيات أنّ الربا المحرّم هو الزيادة الموظفة على السلفات التي يحتاج إليها الإنسان لسدّ الرمق من أكل وغيره. وهو ما يسمى عند من حرّمه حديثا بربا الصدقات. وإذا كان الشيخ محمد عبده قصر تحليله على فوائد صناديق التوفير (الأدخار) فإنّ الشيخ شلتوت من مصر، والشيخ محيي الدين قادي من تونس وغيرهما قد اعتبروا عامّة فوائد القروض حلالا محللا. ولقد كانت الحال غاية في الفقر عندما نزل الوحي والناس يعيشون في واد غير ذي زرع. والرسول نفسه اقترض من بعض اليهود شعيرا ليتخذ منه طعاما. فمن يزيد في المال المقترض لسدّ الرمق إنّما يضيّق على الناس في الضروري من معاشهم.

أمّا الاقتراض في العصر الحديث فأغلبه وأكثر مقاديره لاقتناء الكمالي، لا لسدّ الحاجي، وفق تعبير ابن خلدون، وللاستثمار بهدف الإثراء والتوسّع في الرزق. ومن المعطيات المهمة التي كانت مبرّرة لاعتبار الزيادة في القرض ربا هو أنّ العملة قد كانت عندما شرّع الربا، وظلت كذلك إلى أن عمّت الرأسمالية معيارا etalon لا تنقص قيمته ولا تزيد. ويعتمد في تحديد قيمة السلّع بالغلاء معيارا والرخص. وفي النظام النقدي السائد اليوم، أصبحت العملة سلعة كسائر السلّع، تباع وتشتري، ويعرض لها التضخم

والانكماش والانزلاق والانهيال والتعويم، مثل ما يعرض للسُّلع من وفرة وندرة، وكساد ورواج، وفساد وجودة. وقيمة الدرهم اليوم ليست كقيمتها بالأمس أو غدا، فمن يتحمّل هذه الفوارق، ومن يؤجّر القائمين على مؤسّسات القرض الذي لم يعد مجرد معاملة بين شخصين، ومن تراه اليوم يقرض الناس قرضاً حسناً؟ من هذا المنطلق لا وجود لمبّرر لرفض الفائدة باسم التحريم، والعملية سلعة من السُّلع. وقد أبى الرسول الكريم أن يحدّد الأسعار للناس. والمقبل على الاقتراض مقبل باختياره وفي سعة من أمره.

قد يجادل بعضهم رغم ذلك بأنّ هذه المعاملة ربوية. والجواب في شكل سؤال: ما الرأي في الملايين من الناس الذين يقبلون على هذه القروض راضين، هل نعتبر أنّهم تجاوزوا حدّاً من حدود الله؟ إنه سؤال مطروح على العلماء يفضي في نهاية الاستقصاء إلى التساؤل عن علاقة الدين بالناس وعلاقة الناس بالدين أيهما الأولى أو الأصحّ.

أمّا ما يروج عمّا يسمّى معاملات مالية إسلامية، من مشاركة ومراوحة ومضاربة وتكافل، فيحتاج إلى أكثر من توقف. وفي تاريخ الاقتصاد في العالم الإسلامي عندما تراكمت الأموال نأى أصحابها بأنفسهم عن المضاربة المباشرة بها، وأكلوها إلى اليهود حتّى يحملوا عنهم وزر الرّبا، ويفوزوا هم بالمراييح، دون أن ينكبّ العلماء على البحث في الموضوع ومحاولة حله، كما سيفعل أتباع المذهب البروتستنتي المذكور، الذين أجازوا سعر الفائدة بإعادة صياغة الفكر الديني كما تقدّم. وفي العصر الحديث راكمت طوائف كثيرة من المسلمين الأثرياء أموالاً طائلة متأتية أساساً من الريع النفطي. أودع بعضهم هذه الأموال الزائدة عن الحاجة في البنوك الأوروبية التقليدية فدرّت فوائد. أخذوا رأس المال وأعرضوا عن الفوائد فتركوها سائغة لتلك البنوك بدعوى حرمتها، فيما سحبها بعضهم وسار يفرّقها بنفسه على بعض المعوزين في بلدان إسلامية غير بلادهم. ولكثرة هذه الأموال في أقطار معينة تفتتت الأذهان على حيل شرعية تضيف الحلية عليها من خلال ابتداع تلك المعاملات التي سمّوها إسلامية.

هي مخاتلة لله واستغلال لطيبة المؤمنين المتعلّقين بشعائر دينهم، لأنّ المتعاملين وفق هذا النظام يعرفون أنّ كلفة هذه المعاملات أعلى من كلفة الاقتراض من البنوك التقليدية. واستدلال الداعين إلى التعامل وفق هذا النظام بكونه صار معتمداً في بعض الدّول الغربية لبيان جدواه وسلامته، لا يفيد في شيء، لأنّ غاية البنوك الريح. وهي معاملات مربحة أكثر من المعاملات التقليدية، أمّا إسلاميتها فحديث آخر. ثمّة نزعة هيمنة واضحة، لها جانب مذهبي ديني وجانب مالي يصبّان في غاية سياسية واحدة تظهر علاماتها في المجال الثقافي والإعلامي والاقتصادي، ويتجنّد لخدمته أكثر من داعية بمن فيهم المثقّفون والعلماء وسائر ذوي الاختصاص حتى من المغارب. وفي هذا السياق تنزّل ردّ العلماء المغاربة على الفتوى التي أثارت ضجة كبرى دون أن تفضي إلى البحث عن حلول لإشكالات اجتماعية اقتصادية معلقة، بما يجعل القطيعة متواصلة بين الناس وطبقة العلماء، في حين يفترض فيهم أن يكونوا على تواصل مستمرّ، كما يفترض في العلماء أن يكونوا مصابيح تثير الطريق.

«إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيصمده عليها أو يشرب الشربة فيصمده عليها»

بقلم: الاستاذ علي خناش

روى الامام البخاري عن ابي سعيد بن المعلى قال: كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: «ألم يقل الله: استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم» ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد»

ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ولله در عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقد تساءل وسأل الصحابة عن معنى «الحمد لله» بل عن حكمة وسر افتتاح أعظم سورة في القرآن العظيم -فاتحة الكتاب- ب «الحمد لله» واعادتها سبع عشرة مرة كل يوم في الصلوات المفروضة، هذا فضلا عن كونها ركنا في خطبة الجمعة، ومستحبة في أعمال كثيرة: كذكرها في ابتداء الكتب المصنفة وابتداء الدروس، وبعد الفراغ من الطعام والشراب والعطاس، والخروج من الخلاء، وعند خطبة المرأة...»

كما يستحب حمد الله تعالى عند حصول نعمة أو اندفاع مكروه، سواء حصل ذلك لنفسه أو لصاحبه أو للمسلمين، بل ويستحب حمد الله عند نزول البلاء والمحن والمصائب، وعدم السخط والوعيل والنحيب... والاحاديث في فضل الحمد كثيرة ومشهورة من الاحاديث المروية في فضل «الحمد»

* ما رواه الحكم بن عمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا قلت: الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك»

* وما رواه ابن ماجة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما انعم الله على عبد فقال: الحمد لله الا كان الذي اعطي افضل مما اخذ»

ولعل من اوضح الاحاديث معنى واقواها دلالة هذين الحديثين أولهما: رواه القرطبي في تفسيره عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من امتي ثم قال: الحمد لله لكان الحمد افضل من ذلك» قال القرطبي: لكان الهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لان ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى، قال الله تعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا»

وثانيهما: ما رواه ابن ماجة في سننه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- ان رسول الله صلى الله عليه وسلم -حدثهم ان عبدا من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك، فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا ان عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها؟ قال الله -وهو اعلم بما قال عبده- ماذا قال عبدي؟ قال: يا رب انه قال: الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك، فقال الله لهما: اكتبها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها»

مع هذه الاحاديث فقد احتار بعض كبار الصحابة في معنى «الحمد» وقد اجاب بعضهم بما لا

طائل تحته، وأجاب البعض الآخر اجابة دقيقة صائبة لكنها مقتضبة وهو ما سنراه.

أقوال السلف في معنى «الحمد»

روى ابن عباس -رضي الله عنهما- قال قال عمر -رضي الله عنه- قد علمنا سبحان الله، ولا اله الا الله، فما الحمد لله؟

فقال علي كلمة رضيها الله لنفسه، وفي رواية: كلمة احبها الله تعالى لنفسه واحب ان تقال

هذا جواب لا يشرح معنى «الحمد» الذي سأل عنه عمر

*وروي عن ابن عباس انه قال: «الحمد لله» كلمة الشكر، واذا قال العبد: الحمد لله قال الله: شكرني عبدي، وفي رواية عنه انه قال: الحمد لله هو الشكر لله هو الاستحذاء له والاقرار بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك

وهذا هو الصواب الذي نجد في كل التفاسير القديمة والحديثة، تؤكد العديدين من الاحاديث التي سبق ان ذكرنا بعضها.

*الحكمة من افتتاح اعظم سورة ب «الحمد»

حمد الله دعاء فيه طمأنينة نفسية، تدفع إلى الصفاء الداخلي والراحة الوجدانية والهدوء القلبي

الحمد وقود روحي يصقل النفس فيزيل ما ران عليها من شوائب اليأس، ويجدد الطاقات، ويشحذ الافرءة بفيض من أمن وأمل ورضا وتفاؤل وراحة روحية.

والحمد بكل هذه المعاني السامية علاج للقلق، ودواء للاضطراب والقلوب

وذو النفس الحيرى المضطربة، يردد بلسانه وقلبه «الحمد لله» مستعرضا ما افاء الله عليه من نعم فلم يجد في الوجود بعد ذلك الا الخير كل الخير، والغنى كل الغنى، وما كان يراه قبيحا يجد فيه نواحي من جمال وجلال كانت غائبة عنه أو محجوبة عليه أو مغطاة عن بصره.

كهذا الشيخ المريض الذي أنهكته العلل وأضنته الاسقام، فكف بصره، وقطعت يده، وهزل جسده، وتهدم بنيانه الظاهري، ومع ذلك فانه دائما يردد بلسانه وكيانه قائلا: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه... وسمعه رجل فقال له: ايها الشيخ على ما تحمد الله وانا

أرى فيك جميع المصائب والبلايا؟

فأجاب: انني احمد الله الذي جعل لي قلبا يعرفه ولسانا يحمده ويذكره.

قلب ذاكر ولسان شاكر، وأنفاس تتردد... هذا هو كل ذخره وذخيرته وكل نصيبه في الحياة فلم يقنط ولم ييأس، بل هدأ ورضي واطمأن بعد ان حاز نعمة الذكر ونعمة الشكر ونعمة الحمد.

هذا هو الحمد بنتائج وآثاره وفعاليتها، فلا غرو ان كان صدر الفاتحة دعاء هو «الحمد لله»

لا شك ان ما قاله هذا الشيخ يقوله كثيرون غيره من المؤمنين الصادقين العارفين بالله، وهو ما أخبرنا به الصادق الامين-صلى الله عليه وسلم- بقوله «المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله»

قال عائشة ام المؤمنين- رضي الله عنها- «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يحب قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال: الحمد لله على كل حال، رب

اعوذ بك من حال اهل النار»

لا شك ان افتتاح اعظم سورة في القرآن بالحمد تذكير وتنويه بنعمة تنزيله إذ فيه نجاح الدارين، فتلك المنة من أكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال، لا سيما وقد اشتمل القرآن على كمال المعنى واللفظ والغاية، فكان عند ابتداء سماع انزاله وابتداء تلاوته مذكرا بما

لمنزله من الصفات الجميلة وذلك يذكر بوجوب حمده وان لا يفضل عنه فكان المقام مقام الحمد لا محالة...»

في ذكرى مرور 50 سنة على وفاة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله بقلبه

عرفت منابر المشرق والمغرب نفسكم الخطابى الممتاز، فهل كانت الخطابة اول ما اتجهتم اليه في نشاطكم الادبي؟ وما هي العوامل التي كونت فيكم هذه الضلعة؟ ومتى كان ذلك؟ لا أشعر، ولم أشعر أبدا، بأن في نفسا خطابيا ممتازا كما تدعون والحق انني لا أدري بالضبط، كيف اتجهت الى الخطابة ولا كيف تكونت للناس في نظرة القبول التي شرفت بها. ومن الغريب، انني نشأت بعيدا عن الصلوات الاجتماعية، منفصلا عن كل بيئة خارجة عن الأسرة والبيت، فتلقيت، في الطفولة، التعليم القرآني في البيت مفردا، ليس لي رفيق! ولم أدخل المكتب الابتدائي ولم أعرف من الاطفال غير ابناء الاقارب ولم تكن لي هواية من هوايات الأطفال، فكانت اوقاتي كلها موزعة بين:

1- اتصالات سيدي الوالد ومحادثات فكهة معه، كانت تترقى في مستواها العقلي والادبي، على حسب تقدم سني واتساع معرفتي
2- مطالعات في الكتب، ابتدأت من مطالعة الأخبار والحكايات في كتب الدراسة الابتدائية، التي كنت أقرأ فيها بشغف في الليل، عندما آوي الى فراشي قبل النوم: «التمرين العباسي» و«الطريقة المبتكرة» وغيرهما، ثم ترقى الى كتب ابتدائية في السيرة النبوية والتاريخ والاخلاق، مثل كتب الشيخ مصطفى الغلاييني والشيخ محي الدين الخياط والشيخ عبد القادر المغربي، حتى انتهت الى مهمات كتب التاريخ والادب، مثل «رقم الحلل» و«ديوان الحماسة» و«مقدمة ابن خلدون» و«رحلة ابن بطوطة» و«الأغاني» وكم كنت اهتز فرحا عندما يكتب لي سيدي الوالد قائمة في اسماء كتب، ينتقيها مما يعلن عنه في الصحف ويرسل بي الى المرحوم السيد محمد الأمين الكتبي لشراؤها.

3- تتبع الاحاديث التي تجري بين والدي وجدتي وعمي والذين يزورونهم فيسمرون معهم بين محاورات العلم ومجادلات السياسة ونكت الادب والمفاكهة

4- تنظيم اجتماعات وحفلات، لصغار اهل الدار من الاخوات والاتباع تحاكي ما اشاهد في الخارج او ما أقرأ في الصحف او ما اسمع الحديث عنه، مع كثير من التصرف الخيالي، واكون انا في تلك الحفلات صاحب الابتكار ومتولي التنظيم والقائم بدور الخطابة

المقدمة التي قدمت بها مجلة الندوة (العدد 8 السنة الرابعة نوفمبر 1956) الحديث الذي اجرته مع فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله (في أدباء الشباب توق الى معرفة أشياخهم في الأدب، وأرادت «الندوة» أن تساهم في هذا التعريف ما وسعها ذلك ففتحت هذا الباب ليلججه أدباؤنا التونسيون الكبار. وقد عني باب «أدباؤنا بأقلامهم» حتى اليوم بتقديم كتاب وشعراء وباحثين، ولكنه لم يقدم الى قرائه خطيبا تونسيا واليوم يشرفه ان يكون أديب العدد محاضرنا المختار وخطيبنا المصقع العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله).

واحيانا القي فيها ما ازعمه قصائد .

وفي الحادية عشرة من عمري عندما نشطت الحياة المسرحية بالبلاد كونا شبه مسرح واصبنا نخرج روايات تمثيلية نستعد لاجراها باقوى استعداد ممكن فكونا ثروة من الازياء وادوات الزينة ومثلنا رواية «صلاح الدين الايوبي» و «القائد المغربي» ثم صرت اكتب -ان صح التعبير- روايات مستمدة من المحيط الذي يتصل بنا يكون بطلها غالبا مولانا الملك المقدس سيدي محمد الناصر واشخاصها من ال بيته ورجال بلاطه .
واني لأعتبر ان الذي كون في الميل الى الخطابة هو ان اتصالي بالحياة في عامة اشكالها انما كان من الناحية النظرية التصويرية فأصبحت الصورة الذهنية وقالبها التعبيري هي الاصل الوجودي لكل حقيقة من حقائق الحياة واصبح الوجود الخارجي عندي مظهرا تطبيقيا للحقائق الذهنية لا اصلا لها .

هل لقراء الندوة ان يظفروا منكم ببسطة عن حياتكم الفردية وتكونكم العلمي؟

- ولدت يوم ثاني شوال سنة 1327 الموافق 16 أكتوبر سنة 1909 ولقيت والدتي في وضعي اشد ما تلقى امرأة من عسر الولادة ولم يكن عاش لها ذكر قبلي وكان جدي والد والدي هو الذي سماني «محمد الفاضل»، ونشأت في ظل العناية المتوافرة من والدتي ووالدتها ووالدها ووالدي ووالده ووالدته والجدة الكبرى جدة والدي ووالدتي معا لانهما ابنا خالة ومن العمين للذين كانا للوالد بمنزلة الاخوين والابنين ومن الخالين الذين كان حنوهما على الوالدة شديدا ومن العمات، ومع ذلك فان استقامة الوالد على لينة كانت دائما تبعدني عن الشعور بانني «ولد مدلل» وتسير بي في طريق الجد، حتى صرت اخجل من معاملات الامتياز، التي تحوطني من اهل البيت كلهم ولا سيما الجدة الكبرى رحمها الله .

وابتدأت القراءة وانا ابن ست سنين فتعلمت الهجاء بكتب مصرية ثم ابتدأت حفظ القرآن العظيم وفي العام الثالث ابتدأت أحفظ مع القرآن المتون فحفظت الآجرومية والمرشد المعين والرسالة والالفية والعاصمية
وفي السنة العاشرة من عمري اعدت حفظ القرآن سلكة ثانية وابتدأت تعلم اللغة الفرنسية على معلمين خصوصيين في ساعات معينة بالمنزل .

وفي سنة 1340 / 1922 ابتدأت قراءة دروس في مبادئ القرآن والتوحيد والفقہ والنحو بمسجد سيدي ابي حديد المجاور لبيتنا بتونس بنهج الباشا، وفي آخر السنة اجتزت امتحان الدخول للتعليم الزيتوني فقبلت في السنة الثانية وتعاطيت الدروس بجامع الزيتونة الاعظم ولم يكن له يومئذ فروع واستمرت على الدروس الخاصة باللغة الفرنسية
واختزلت سنة اخرى من برنامج التعليم فتقدمت لامتحان التطويع سنة 1347 / 1928 ونجحت ومن ابتداء السنة الدراسية الموالية اقبلت على مزاولة الدراسات العليا بالجامعة الزيتونية وانخرطت في سلك طلبة المدرسة العليا للغة والآداب العربية بسوق العطارين وانتسبت الى كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1931 ثم نجحت في المناظرة سنة 1933 فسميت مدرسا

- ما مدى مساهمة الجيل الذي نشأتم فيه في الحركات الاجتماعية وما هو نصيبكم

فيها؟ وهل تعتقدون ان لها حظا في تكوينكم؟

- كان خروجي من الصبا الى الشباب مقترنا بانبعث الحركة الوطنية ونشاط الصحافة والحركات الاجتماعية والادبية فكنت اتبع تلك الحركات باهتمام واتعرف تفاصيلها ورجالها، ومع ذلك لم اتصل مباشرة باي حركة منها اذ كان نطاق تنقلي بين الجامع والبيت ونظام اوقاتي مضيقا عليهما جدا بمراقبة سيدي الوالد فلم ابدأ اتصالاتي المباشرة بالصحف والجمعيات الا بعد نهاية دراستي الثانوية سنة 1928 ومن يومئذ انغمست في العمل بالجمعية الخيرية وقدماء الصادقية ولجان الحفلات بالمرسى والمنظمات والنوادي التي انشأتها انا وثلة من اخواني الطلبة ثم كان الاستاذ المرحوم عبد الرحمان الكعك هو الذي ربطني بالخلدونية فدخلت في مجلسها الاداري سنة 1931 وابتدت بتوجيهه رحمه الله، المحاضرة على منبر الخلدونية وكان موضوع محاضرتي الاولى «القاضي الفاضل»

- تكاد الحركات الاجتماعية تكون وليدة الوعي العالمي الحديث فهل كان انبعاثها في جيلكم بتونس عن صلة مباشرة بالعالم الخارجي؟ وهل كان للترحل عندكم - بصفة خاصة- من يد في توجيهكم نحو المساهمة فيها، او في تكوينكم الشخصي على العموم؟

- اهم ما كان يؤثر في الحركة الاجتماعية بتونس في عهد شبابي هو نهضة الامم الاسلامية نهضة شعبية بعد سقوط الخلافة العثمانية لتحقيق آمال الخلاص اعتمادا على الكفاح الشعبي، واعتضادا بمبادئ الحرية والحقوق الدولية التي تأصلت قواعدها بعد الحرب العظمى، وكان للحركة الاشتراكية بفرنسا وعموم البلاد الاوروبية صلة بالنهضة الاجتماعية بتونس.

وقد رحلت اول مرة الى فرنسا سنة 1926 وكان لتلك الرحلة اثر قوي في نفسي بتوجيهها الى تطلب نواحي العظمة والسيادة لوطننا على نحو ما بهرني من فرنسا. - لا نشك في ان هذه الرحلة ليست الرحلة الوحيدة التي قمتم بها فالدوة وقراؤها يعلمون ان لكم غيرها رحلات عالمية وثقافية فما هي؟ وهل غيرت من نظر الوفود المشاركة فيها الى تونس والمغرب العربي؟

- اذا كنتم تعنون رحلتي الى مصر العريضة في الشتاء الماضي (1955) فانها حقيقة لم تكن اول رحلاتي، فقد رحلت كثيرا وزرت اكثر من مرة الحرمين الشريفين والقطر الجزائري الشقيق ومصر وسوريا ولبنان وفرنسا وايطاليا وسويسرا، وزرت مرة واحدة المغرب الاقصى وليبيا وتركيا والمانيا والنمسا واليونان ويوغسلافيا وبلغاريا، (وقد زار رحمه الله بعد ذلك التاريخ الكثير من البلدان) واشتركت في مؤتمرات علمية وربطت صلات اعز بها مع كثير من رجال الفكر والعلم والادب وكنت دائما اشعر بان نظرة الامم الى تونس نظرة اعتناء وثقة وان معاملة الذين اتصلت بهم اياي كانت كلها كرم وحسن ظن - بعد تهانتنا بتسميتكم عضوا في مجمع اللغة العربية في مصر، نود ان نستطلع رأيكم في خطواته الماضية، وفيما تعتمرون التقدم به اليه من مشروعات واقتراحات؟

- كنت متتبعا لاعمال المجمع العظيم منذ تكونه سنة 1934 ومعتزا على الخصوص باشتراك اثنين من احب الناس الي فيه هما الاستاذان الجليلان محمد الخضر حسين وحسن حسني عبد الوهاب وباشترار سيدي الوالد في بحوثه واعماله بالمراسلة منذ عشر

سنين، وقد قطع المجمع في ماضي حياته اعمالا عادت بالفائدة الجمة على حياة اللغة العربية، واهم ذلك الابحاث الاصلية لطرائق تجديد اللغة وتوسعها، مثل ابحاث الاشتقاق والقياس والنقل والتوليد والتعريب والاستشهاد التي صدر فيها المجمع عن قواعد منهجية، كان الفضل في وضعها وتدعيمها لثلة من اعضائه الراحلين مثل المرحومين: الشيخ حسين والي والشيخ احمد الاسكندري والشيخ عبد القادر المغربي والاستاذ محمد كرد علي والاستاذ علي الجارم والاب انستاس الكرمل، والباقيين منهم مثل الشيخ الخضر حسين والدكتور منصور فهمي والشيخ ابراهيم حموش، ثم ان العمل الذي اضطلع به المجمع هو ما فرعه عن تطبيق تلك الاصول من تدقيق في وضع المصطلحات العلمية لمختلف فنون الاكتشاف الحديث فجاءت اوضاعا متينة مبنية على مراعاة المعاني الاصلية للمفردات المعرب عنها بمعرفة عظماء الاختصاصيين وعلى مراعاة الانسجام مع مناهج الاصطلاح العلمي العربي القديم، وعلى اعتبار سلامة الاصول العربية بناء على القواعد المتسعة التي أقرها المجمع وان المجموعة الهائلة من المفردات التي تشتمل عليها المجلدات الثمانية التي صدرت من مجلة المجمع لثروة طائلة نهضة الفكر العربي وضمن لتعريب العلم الحديث. وان اهم الاقتراحات التي انوي التقدم بها الى المجمع ترجع الى البحث عن وسائل تعليم النحو بطريقة تضمن تطهير العربية من اللحن

- بدأت حياتكم العامة بالتدريس وكلتموها بالقضاء فاي الميدانين كان عندكم اعلق بالانفس؟

- على شعوري العميق بشرف العمل القضائي وشرف الانتساب الى سلسلة الماضين من قضاة الاسلام بافريقية والانتساب الى تلك الاسرة الشريفة الموقرة من المعاصرين فاني لا انكر ان الميدان التدريسي هو اعلق الميدانين بالانفس

- لقد تهنأ... فان توجهنا الى تتبع هذه الجوانب العديدة في حياتكم الحافلة انسانا جانبا يراه عارفوكم من اهم جوانبكم: الخطابة والمحاضرة. انكم اشتهرتم بالمحاضرة والخطابة وفي الناس من يميل الى احدهما فهل تجدون هذا الميل؟ والى ايتهما؟
- حقا اني اجد ايثارا لأحد الجانبين على الآخر واني الى المحاضرة اشد ميلا مني الى الخطابة

- يعلم متابعو نشاطكم الأدبي ان ما ينشر لكم من آثار هو في الغالب مما خطبتموه او حاضرتكم به، فهل لكم ان تحدثوا قراء «الندوة» عن انتاجكم القلمي الصرف؟

- اذا استثيت المقالات التي نشرت لي في المجلات العلمية والادبية فاني لا أجد انتاجا قلميا صرفا احدثكم عنه وان استغرق الدروس والاشغال لأوقاتي هو اعظم حائل دون ذلك. وبعد فمتى ثبت رأس المال حتى يسأل عن انتاجه

- يردد الشباب في بعض مجامعه نشيدين ينسبان لكم ويدلان على جانب آخر فيكم، هو جانب شاعريتكم فمتى عالجتم الشعر وهلا نفتحتم قراءنا بشيء منه؟

- كنت نظمت اناشيد للشبان ابان الازمة القومية الكبرى سنة 1939 محافظة على روح التوجيه الوطني للشباب وتحديا لمحاولة حكومة فيشي الفرنسية فرض اناشيد اجنبية على طلبة المدارس، ولست مدعيا اني شاعر وان تعاطيت نظم مقاطيع وقصائد كنت

راضيا عن بعضها احيانا

- ذكرنا حديثكم عن الرحلات برحلتكم الى مؤتمر المستشرقين بصحبة سماحة شيخ الجماعة والدكم الامام و«الندوة» تريد اغتنام هذه الفرصة لتستفيد منكم معلومات عن مشاركته في هذا المؤتمر

- رحلت للاشتراك في مؤتمر المستشرقين عدة مرات ولكن المرة التي كنت فيها بصحبة سيدي الوالد هي التي انعقد فيها المؤتمر باستنبول في سبتمبر 1951 وكانت رحلة اعداها من غرر الحياة وكان سيدي الوالد كما كنت انا مدعوا الى حضور المؤتمر بصفة شخصية، فلم نكن نمثل دولة ولا منظمة وكانت لنا فرصة لزيارة تلك المدينة التي هي ام التاريخ الحديث ومجلى الجمال الساحر ومجمع الكنوز النفيسة من المعالم والاثار والكتب، وكان معنا هناك للغرض نفسه سيدي الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب وقد اقتصر هو وسيدي الوالد على تتبع نتائج البحوث في الجلسات العامة واشتركت انا في اعمال اللجان والقيت محاضرة باللغة الفرنسية عن كتاب غريب لابن حزم في الاحتجاج لمذهبه ضد القياس، وقد ترجمتها الى العربية ونشرت في عددين من المجلة الزيتونية سنة 1952.

أجدت فلم تترك مجالا لقائل	***	وافاض معين القول منك بسلسل
فأرويت منا أنفسا كم تعطشت	***	الى مثل هذا الغادق المتهطل
فهل أنت (سحبان) الزمان الذي مضى	***	وإلا فأنت اليوم (قس) الأوائل
أراك في ميدان الفصاحة مثلهم	***	وفقت عليهم بالأصول الأمائل
فأنت سليل المجد والعلم والتقى	***	كريم السجايا (فاضل) وابن فاضل
وهل كان (سحبان) وقس بن ساعدة	***	كمتلك جاء من جدود أفاضل ؟
لئن نسلا في بيئة عربية	***	فإنك بالقرآن في خير موئل
وإن هزت الأقوال منهم منابرا	***	فمن قولك اهتزت قلوب المحافل
فهل لهما فضل عليك؟ بلى بلى	***	وكيف وانت ابن الفضيل المفضل
أخا الفضل: كم جاهرت بالحق معلنا	***	وكم ذدت عنه في دفاع البواسل
وكم وقفات قد أبنت بفضلها	***	منار الهدى للعابث المتحلل
وكم لك من عقل رصين اذا التوى	***	على الناس أمر بت في كل معضل
فيا لك من شيخ كريم مجاه	***	تصدى صراع البغي من كل مبطل
لك الله فيما انت للدين صانع	***	فمن فيضه يرجو الندى كل عامل

قطعة شعرية نظمها الشيخ عبد الرحمان يوسف جلال اثر حضوره محاضرة ألقاها الشيخ الفاضل بمدينة البيضاء ليبيا في 14 شوال 1830هـ 30 مارس 1961

فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله يحتل مرتبة القطبية بين افراد أسرة جوهر الاسلام

بقلم: فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

(الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنا لله وأن اليه راجعون) ما أعذبها من كلمات علمها لنا الإسلام و ردها الرسول العظيم صلى الله عليه و سلم كلما أملت به نائبة و حلت به مصيبة ، و إنها لتحمل فوق معناها الإيماني التسليمي بلسما للقلوب المقروحة و النفوس المفجوعة ، فيزداد الذين آمنوا إيماناً و يستطيعون أن يستلوا من تلك الحياة المظلمة الخائقة أنفاساً يعيشون بها و يواصلون السير مع درب الهدى و الرشاد .

هذا بعينه ما اعترانا عندما تلقينا نبا الخطب الجلل بوفاة رائد الفكر و الفضيلة المنعم الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور الذي هو بالإضافة إلى مراكزه العظيمة الكثيرة يحتل مرتبة القطبية في هذه المجلة و بين أفراد أسرتها الكرام .

نعم لقد كان من دعاء الفكرة المتحمسين و من رجالاتها العاملين ، ناهيك أن أعدادها التي صدرت لحد الآن قد حظيت كلها بتصدره لها و تزيينه لقائمة أسماء كتابها .

إن الفراغ الرهيب العظيم الذي تركه في مجالات العمل الإسلامي يلحظه الملاحظ أينما تولى و حيثما توجه .

فمن للبيان العذب الجهير يهز به أعطاف الناس هذا ؟ و من للأجوبة الهادئة الرصينة تبدد غياهب الشك و تمزق جحافل الغموض و تسوق اليقين سوقاً ناعماً فيقتحم القلوب بدون إزعاج و لا إيلاام ؟ من للفكر الإسلامي يحدد أبعاده و يستقصي آفاقه و ينفض الغبار عنه ليواكب الفكر الإنساني الوثاب ؟ من لمركز رجل الدين المتفتح الذي يملأ العيون و يغتصب الإعجاب فيسده كما كان يسده الفقيد العزيز ؟ من للمؤتمرات الإسلامية تقلع به طائفة من مطار (تونس قرطاج) لتنزله (بكراتشي) أو (بلاهور) أو (بمكة) أو (بالباط) أو (بالقاهرة) فتشرّب نحوه الأعناق و تعنو له الوجوه و القلوب فيرفع رأس بلاده عاليًا بل يرفع رأس المسلمين من كل جنس و لون ؟ من لهذه الأشياء كلها غير فقيدنا الذي استأثر به الخلود و ارتحل عنا قبل أن نفكر في خلف

نص الافتتاحية التي كتبها فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله في العدد 8 من السنة 2 من مجلة «جوهر الاسلام» التي خصصت لفضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله أكثر من عدد ننوي إن شاء الله جمع ما تضمنته هذه الأعداد من بحوث و مقالات و قصائد شعرية في كتاب تذكاري نصدره بمناسبة ذكرى مرور 50 سنة على وفاته تحية لروحه رحمه الله و تعريفاً بمختلف جوانب عبقريته و نبوغه .

يدا نية أو أن نعد من تقربه فضائله إليه ؟ و أنى لنا ذلك وصانع العبقريات واحد أحد (لا يسأل عما يفعل).

لم نكن أبداً من أولئك الذين يهدمهم يقين الموت أو يضعف إيمانهم بالله الباقي ، و بحتمية الفناء لكل من سواه ، ببعد أن استلال الأفضال المبالغت يضعف أمامه كل قوى و ينهار إزاءه كل صبر و جلد . لا من أجل الفراق و المباغلة و حسب بل من الشعور بالفراغ المهول والصعد الذي لا يرأب و الثلثة التي لا تسد . هذه هي الأشياء التي تعتمل في صدور المخلصين المؤمنين و تقض مضاجعهم و تبعد عنهم هداة النوم الرخي و العيش الرضي .

و إن التسلية الوحيدة التي يجدها أب العلماء جميعا الشيخ الإمام الوالد الثاكل، و يجدها أصدقاء الشيخ الكبير الابن الراحل ، لهي ذلك العرفان الغامر و الحزن التلقائي و البكاء غير المتصنع و الرثاء الصادق الملتاع ، التي عبر عنها جميع من عرف الراحل العزيز من قريب أو من بعيد ، فإن دل جميع ذلك على شيء غير تقديس العبقرية و النبوغ و الفضيلة والعلم، فقد دل بما لا يترك مجالاً للشك على أن الأفكار الإسلامية العربية التي عاش المرحوم يناضل من أجلها إلى أن لفظ نفسه الأخير ليست غريبة في هذا البلد الكريم و في العالم الإسلامي بأسره ، بل إنها تتربع سويدياً القلوب و تجري من كل عربي و مسلم مجرى الدم من العروق مهما غلقت اختفت و تضاءلت، هذا لعمرى خير عزاء لنا و خير عزاء لأبيه الكريم و أهله ، إذ الموت مع الفضائل استشهاد و خلود، فإلى جنان و ارفة الظل سرمدية النعيم أيها الراحل الكريم و عزاءنا الأول و الأخير فيك ما قاله من أحببته بكل قلبك و حبست حياتك كلها على العمل في سبيل دعوته و تحقيق أهدافه النبيلة صلى الله عليه وسلم (فإنما يعجل الله بخياركم).

من مؤلفات العلامة الشيخ عبدالله بن بية رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة ابوظبي الامارات العربية المتحدة

- | | |
|--|--|
| * سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات | * مقاصد المعاملات ومراسد الواقعات |
| * صناعة الفتوى وفقه الاقليات | * توضيح اوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الاموال |
| * الارهاب التشخيص والحلول | * فتاوى فكرية |
| * تنبيه المراجع على تاصيل فقه الواقع | * البرهان |
| * خطاب الامن ف-ي الاسلام | * دليل المريض بماله عند الله من الاجر العظيم.....وكتب اخرى |
| * مشاهد من المقاصد | * مجلة السلام (الاعداد1و2و3...) |
| * اشارات تجديدية في حقول الاصول | * مجلة التعايش (الاعداد1و2و3...) |
| * اعمال المصلحة في الوقف | |

مَوْلَايَ عَبْدُكَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ

شعر الاستاذ عبد المولى البغدادي - ليبيا -

القسم الثالث والاخير من قصيد رائع اهداه لنا مشكورا الاستاذ عبد المولى البغدادي

وَأَمْنَجْ خِصِيمِكَ بَعْضَ الْحَبِّ مُحْتَسِبًا ***
 وَ لَا تَجَادَلْ عَنِ الْحَقِّى فِتْنِيهِمْ ***
 مَنْ لَا خَلَاقَ وَ لَا أَخْلَاقَ تَرَدَّعَهُ ***
 وَ كُنْ مَعَ الْجَاهِ وَ السُّلْطَانِ فِي حَذَرٍ ***
 وَ لَا تَقَاطِعْ وَ لَا تَتَطَّقْ إِذَا نَطَقُوا ***
 وَ كَلِّ مَنْ سَاسَ أَمْرًا لَا يُسَاسُ لَهُ ***
 لَوْ أَنَّ لِلْكَتْلِ الصِّمَاءَ مِيْزَتَهَا ***
 لَا عَيْبَ فِي هَمِّ زَلْتِ بِهَا قَدَمٌ ***
 لَا تَأْمَنُ الْبَحْرُ مَفْتُونًا بِزُرْقَتِهِ ***
 قَرِيبًا فَرَجَ الرَّحْمَنِ كَرِيَةً مَنْ ***
 هِيَ الْبِلَايَا شُؤُونَ نَحْنُ نَصْنَعُهَا ***
 وَأَرِيًا بِنَفْسِكَ عَنِ ذَلِّ السُّؤَالِ فَمَا ***
 وَ لَا تَدْعُ لِلْهُوَى وَ النَّفْسِ مِنْ أُنْثَرٍ ***
 لَا تَلْقَ نَفْسَكَ لِلْآفَاتِ تَدْمِنُهَا ***
 وَاجْعَلْ مِنَ الْبِسْمَةِ السَّمْحَاءَ مُنْشَرِحًا ***
 لَيْسَ السَّعَادَةُ فِي جَاهٍ وَ لَا حَسَبٍ ***
 وَ إِنَّمَا هِيَ فِي نَفْسٍ قَدْ أَمْتَلَتْ ***
 يَا صَاحِبَ الْخَلْقِ الْأَعْلَى وَ سَيِّدَهُ ***
 أَيَّامٍ عُمُرِكَ أَعْمَارٌ مُخْلَدَةٌ ***
 جَلَّتْ صِفَاتِكَ عَنِ شَعْرِ يُعَدِّدُهَا ***
 لَكَ التَّشَاءُ فَإِنْ يُقْصِدُ سَوَاكَ بِهِ ***
 فَمَا تَسَامَى أَدِيبٌ فِي فَصَاحَتِهِ ***
 قَدْ تَنَسَّفَ الْأَرْضَ أَوْ تَهْوَى السَّمَاوَاتِ أَوْ ***
 وَ أَيَّ آيَاتِهِمْ تَبْقَى كَايَةً مَنْ ***
 إِنْ كَذَّبُواكَ وَ صِيدُوا زَحْفَ دَعْوَتِهِ ***
 قَالَهُ لَنْ يَتَخَلَّى عَنِ مُحَمَّدِهِ ***
 وَ نَحْنُ مِمَّنْ تَلَى النَّالِينَ مَنزِلَةً ***
 مَوْلَايَ لَا تَتَخَلَّ عَنِّي وَلَا يَتَا ***
 (صِرْحٌ مِنَ الْعَزِّ وَ السُّلْطَانِ مَا بَرِحَتْ ***
 مَوْلَايَ عَبْدُكَ مَاضٍ فِي غَوَايَتِهِ ***
 وَ عَرِيدٌ الشَّيْبِ وَاحْتَدَّتْ مَوَاعِظُهُ ***
 إِنْ سَوَّغَ الطَّيْشُ أَحْلَامَ الشَّبَابِ فَمَا ***
 وَ إِنْ يَكُنْ عَقْلٌ مَاضِي الْعُمُرِ مُجْتَبِلًا ***
 الشَّيْبُ إِنْ لَمْ يَنْقُ النَّفْسَ مِنْ دَنَسٍ

قَرِيبًا صَارَ رَوْضًا وَأَرْفَ الظِّلِّ ***
 لَا خَيْرَ فِي الْحَمَقِ مِنْ أُنْثَى وَمِنْ رَجُلٍ ***
 يُسَى لِلدِّينِ وَ الدُّنْيَا وَ لَمْ يَسَلْ ***
 سَيَانَ مُتَّصِلٍ مِنْهُمْ وَ مُنْفَصِلٍ ***
 وَ كُنْ سَمِيعًا وَ إِنْ هُمْ أَنْصَتُوا فَقُلْ ***
 فَهُوَ أَمْرٌ هَمَلٌ فِي مَعْشَرِ هَمَلٍ ***
 لِأَصْبَحَ الْأَمْرُ لِلْأَقْوَى مِنَ الْفَيْلِ ***
 لَكِنَّمَا الْعَيْبُ إِنْ شَبَّتْ عَلَى الزَّلِّ ***
 فَقَدْ يَسُوءُكَ مَا فِي الْقَاعِ مِنْ وَحَلٍ ***
 قَدْ كَانَ يَسْقَى الثَّرَى مِنْ دَمْعِهِ الْخَضَلِ ***
 فَاعْقِلْ مَطَايَاكَ فِي الْبِلَوَى أَوْ ارْتَحِلْ ***
 لِلْمَرْءِ أَرْزَى مِنَ الْإِحْحَاحِ فِي السُّؤْلِ ***
 عَلَيْكَ إِنَهُمَا كَالسَّائِقِ الثَّمَلِ ***
 يَكْفِيكَ مَا فِيكَ مِنْ دَاءٍ وَ مِنْ عِلٍّ ***
 لِلْمَتَعِينِ وَرَوْضًا وَأَرْفَ الظِّلِّ ***
 وَ لَا ثَرَاءَ وَ لَا دُورَ وَ لَا (قَلَّلِ) ***
 قَنَاعَةً وَاسْتَلَذَّتْ صَالِحَ الْعَمَلِ ***
 وَ بَاسِطَ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَاءِ وَ الْمَثَلِ ***
 يَسْمُوُ بِهَا كُلَّ عُمُرٍ رَاكِدٍ خَمَلٍ ***
 فَكَيْفَ بِي وَ لِسَانِي شَبَهُ مُعْتَمَلٍ ***
 كَيْفَ فِي الْمَزَادَاتِ وَ الْأَسْوَاقِ مَنْ دَجَلٍ ***
 إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا أَوْجَزْتَ مِنْ جَمَلٍ ***
 تَفْنَى الْحَيَاةُ وَ تَبْقَى آيَةُ الرُّسُلِ ***
 صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ فِي الْأَزَلِ ***
 لِلَّهِ ، لَيْسَ لَهُمْ بِاللَّهِ مَنْ قَبْلَ ***
 وَ لَا عَلَى مَنْ يَلِي مِنْ آلِهِ وَ يَلِي ***
 وَ تَابِعِي تَابِعِيهِ الْكَمَلِ الْأَوَّلِ ***
 فَهَذِهِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ دُونَ وَلِي ***
 تَهْوَى صِيَاصِيهِ حَتَّى عَادَ كَالطَّلَلِ) ***
 أَعْمَى يَجُوبُ الدُّجَى فِيهَا وَ لَمْ يَزَلْ ***
 وَ صَارَ يُعْلَنُ قَبْلَ الْمَوْتِ مُرْتَحِلِي ***
 لِذِي الْكُهُولَةِ مِنْ طَيْشٍ بِمُحْتَمَلِ ***
 فَإِنَّ لِلشَّيْبِ عَقْلًا غَيْرَ مُجْتَبَلِ ***
 فَالْمَوْتُ أَكْرَمُ مِنْ غَيِّ لِمَكْتَهَلِ

رَاجَعْتُ دُنْيَايَ وَ اسْتَحْضَرْتُ آخِرَتِي *** فَهَالِنِي مَا أَرَى مِنْ مَشْهَدٍ جَلِ
 فَمَا تَرَكَمُ مِنْ لَهْوٍ وَمِنْ عَبَثٍ *** وَغَفْلَةٍ وَ ذُنُوبٍ مَا تَرَكَمُ لِي
 كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ سَمْعًا وَ لَا بَصَرًا *** وَلَا فُؤَادًا وَلَا فِكْرًا يُفَكِّرُ لِي
 مَوْلَايَ أَشْكُوكُ مِنْ نَفْسِي وَ إِمْرَتَهَا *** بِمَا تُخَيِّلُ لِي مِنْ زَائِفِ الْخَيْلِ
 حَطَّتْ بِشَعْرِي عَلَى أَوْهَى شِفَا جُرْفٍ *** يَكَادُ يَنْهَارُ بِي مِنْ زَلَّةِ الرَّجْلِ
 لَمْ يُخْطِئِ الْوَهْمُ مِنِّي قَيْدَ أَنْمَلَةٍ *** كَأَنَّهُ سَهْمٌ رَامَ مِنْ بَنِي نَعْلٍ
 حَتَّى تَمَلِّكَنِي فِكْرًا وَ عَاطِفَةً *** وَ مِكْنَ الْبِعْضِ مِنْ رَمِي وَ مَكْنِ لِي
 وَ يَلِي مِنَ الشَّعْرِ لَمْ يَتْرِكْ مُخَاطِرَةً *** إِلَّا وَ أَوْفَعَنِي فِيهَا بِلَا مَهَلٍ
 عَسَى وَ قُوِيَ بِيَابِ اللَّهِ أَطْرَفُهُ *** وَ اسْتَفَيْتُ بَمَنْ بِالْبَابِ يَأْذُنُ لِي
 مَوْلَايَ عَرَّجَ بِأَشْوَاقِي إِلَى مَلَأٍ *** أَعْلَى مِنَ الْحَمْلِ الْمَحْمُومِ وَ الْوَحْلِ
 وَ طَهَّرَ الْقَلْبَ مِنْ أَدْرَانِ أَمْزَجَةٍ *** بِلَهَاءٍ تَعَبْتُ بِالصَّاحِي وَ بِالنَّمْلِ
 مَوْلَايَ فَاحْلَعُهُ مِنْ وَعِي وَ ذَاكَرْتِي *** وَ اسْبِغْ عَلَيَّ إِلَهِي طَاهِرَ الْحَلْلِ
 الشَّعْرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَصْحًا وَ مَوْعِظَةً *** يَا لَيْتَهُ لَمْ يَرِ الدُّنْيَا وَ لَمْ يَقُلْ
 الشَّعْرُ أَخْطَرُ مَا تَسْعَى الْعُقُولُ بِهِ *** يَحْوِي النَّقِيطَيْنِ مِنْ سَمِّ وَ مِنْ عَسَلٍ
 كَمْ سَوَّغَ الْمَدْحُ أَفْعَالًا مُزَوَّرَةً *** وَ جَرَّ مِنْ مَحْنٍ وَ احْتَالَ مِنْ حَيْلٍ
 لَا يَصْدُقُ الشَّعْرُ إِلَّا حِينَ يَصْدُرُ عَنْ *** عَقْلٍ سَوِيٍّ حَيٍّ غَيْرٍ مُتَبَدِّلٍ
 وَ أَيُّ مَعْنَى لَشَعْرٍ لَا يُتِيحُ لَنَا *** إِلَّا التَّغْنِيَّ بِسِحْرِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
 لَا يَبْلُغُ الْمَجْدَ إِلَّا شَاعِرٌ فَطِنٌ *** يَخْطُ أَحْرَفَهُ الْحَمْرَاءُ بِالنَّصْلِ
 وَ أَيْنَ مِنِّي سُيُوفُ اللَّهِ مُشْرَعَةً *** تَطُلُ مِنْ وَجْهَيْهَا بِسَمَةِ الْبَطْلِ
 مَوْلَايَ لَطْفًا وَ إِحْسَانًا وَ مَغْفِرَةً *** فَأَنْتَ بِالْعَفْوِ أَوْلَى مِنْ عِقَابِكَ لِي
 مَوْلَايَ فَتَحًا وَ فَهَمًا نِيرًا وَ هُدًى *** وَ عَفَا وَ تَقَى فِي الْقَوْلِ وَ الْعَمَلِ
 فَمَا الْحَيَاةُ سَوِيٍّ حُلْمٍ تَوْلَدُ عَنْ *** حُلْمٍ تَسْرِبُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَ الْأَمَلِ
 الْعُمُرُ شَيْءٌ إِلَّا لَحْظَةً عَبَرَتْ *** وَ لِحْظَةً فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ لَمْ تَزَلْ
 وَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا لِلْحَيِّ مُتَسَعٌ *** إِلَّا لِأَنَّ يَعْْبُرُ الدُّنْيَا عَلَى عَجَلٍ
 وَ كُنَّا يَا عِبَادَ اللَّهِ مُنْصَرَفٍ *** إِلَى الْحَيَاةِ بِقَلْبٍ تَائِهٍ غَفَلٍ
 إِمَّا غَرِيقٌ وَ إِمَّا خَائِفٌ غَرَقًا *** وَ رَاحَةَ الْبِيَالِ أَمْرٌ غَيْرٌ مُحْتَمَلٍ
 قَلٌّ لِلْأَلَى عَشَقُوا الدُّنْيَا وَ زُحْرَفَهَا *** لَا تَأْمَنُوهَا فَبَعْضُ السَّمِّ فِي الْعَسَلِ
 خِدَاعَةٌ بَيْنَمَا تُعْطِيكَ مُتَعْتَهَا *** إِذَا بِهَا انْقَلَبَتْ لِلْغَدْرِ وَ الْغِيَالِ
 وَ رَبِّمَا تَضْحَكُ الدُّنْيَا لِمُنْحَرَفٍ *** وَ تَسْلُبُ الْقُوتَ مِنْ أَسْنَانِ مُمْتَلِ
 تَقْنِي الْحَيَاةَ وَ يَبْقَى مِنْ إِسَاءَتِهَا *** فِي سَائِرِ الْخَلْقِ جُرْحٌ غَيْرٌ مُدْمَلٍ
 وَ كَلَّ سَهْمٌ سَدِيدٌ قَدْ يَخِيبُ ، وَ قَدْ *** تُرِدُّهُ عَنْكَ إِلَّا أَسْهَمُ الْأَجَلِ
 وَ الْمَرْءُ يَرْسُمُ دُنْيَا لَا حُدُودَ لَهَا *** كَأَنَّهُ فِي خُلُودٍ دَائِمٍ أَزْلِي
 فَاجْعَلْ حَيَاتِكَ إِعْمَارًا لِآخِرَةِ *** لَا مَوْتَ فِيهَا ، بَقَاءً غَيْرَ مُنْتَقِلِ
 تِلْكَ الْحَيَاةُ ، وَ مَا الدُّنْيَا سَوَى سَفَرٍ *** مَهْمَا دَنَا أَوْ تَقَاضَى لَنْ وَ لَمْ يَطَلِ

في التصدي لظاهرة الانتحار وقتل النفس التي حرم الله

الحمد لله الذي هدانا للاسلام ورسخ في قلوبنا الايمان ووقانا به من مصائد الشيطان وأشهد ان لا اله الا الله رب واحد واله شاهد سبحانه وتعالى هو على كل شيء قدير لا يعجزه أمر يبدل الأحوال من حال إلى حال، أمره بين الكاف والنون يقول للشيء كن فيكون.

وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله خير من أرشد وهدى إلى الصراط المستقيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار صلاة وسلاما يستغرقان العد صلاة وسلاما متلازمين نكفى بهما كل هم وغم ويفرج بهما عنا كل كرب أما بعد ايها المسلمون اوصيكم واوصي نفسي بخير ما يتوصى به عباد الله الصالحون في كل آن وحين- تقوى الله في السر والعلن فهي خير زاد يتزود به المؤمن في سعيه إلى ربه ووقوفه بين يديه.

تعرضنا في خطبة سابقة إلى موضوع الانتحار، وقلنا إن اعداد من يقدمون على قتل انفسهم وارتكاب هذا الجرم العظيم قد تكاثرت وازدادت في السنوات الاخيرة وهي بالخصوص في صفوف الشباب ممن هم في مقبل العمر وأمامهم في هذه المرحلة من حياتهم فسحة يمكنهم فيها ان يتغلبوا على ما يمكن ان يعترضهم من مشكلات وصعوبات كان عليهم ان لا ييأسوا ويعيدوا الكرة مرة ثانية وثالثة إلى ان تفتح امامهم الابواب فلا يغلب عسر يسرين (فان من العسر يسرا إن مع العسر يسرا) هكذا بشر الله عباده في كتابه العزيز خاطبهم ربهم بأفضل ما يخاطبون به مما فيه القرب والرحمة والفضل فقال جل من قائل (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وحذرهم من اليأس من روح الله ورحمته، إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون)

فالايمن الراسخ تطمئن به القلوب وتهدأ به النفوس ولايجتمع مع اليأس والقنوط، فظلم النفس في كل مظاهر الظلم والتي منها المعاصي والذنوب واعلاها وأشدّها فضاة الاقدام على قتل النفس بأية تعلق وبأية حجة كانت، كلها مرفوضة غير مقبولة به، ليس لهذا الجرم أي مبرر شرعي أو عقلي مقبول لذلك وردت الايات البيّنات المحكمات والسنن المبينة لما نزل الله في كتابه العزيز القرآن الكريم.

فالانتحار حرام بالاتفاق ويعتبر من اكبر الكبائر بعد الشرك بالله قال الله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) سورة الانعام 151

وقرر الفقهاء ان المنتحر اعظم وزرا من قاتل غيره وهو فاسق وباغ على نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها ابدا) اخرجته البخاري روى الشيخان عن ابي هريرة إن النبي صلى الله عليه وسلم (من قتل نفسه بحديدة

فحديده في يده يجاء بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا) ومنها حديث جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(كان برجل جرح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة) اخرج به البخاري ولم يقل بكفر المنتحر احد من علماء المذاهب الاربعة لان الكفر هو الانكار والخروج عن دين الاسلام- وصاحب الكبيرة غير الشرك- لا يخرج عن الاسلام عند اهل السنة والجماعة وقد صحت الروايات ان العصاة من اهل التوحيد يعذبون ثم يخرجون بل قد صرح الفقهاء في أكثر من موضع بان المنتحر لا يخرج عن الاسلام ولذلك قالوا بغسله والصلاة عليه ولا خلاف بين الفقهاء في ان المنتحر إذا لم يمتم من محاولة الانتحار عوقب على محاولته لانه إقدم على قتل النفس الذي يعتبر من الكبائر ...

ومن قتل نفسه غسل ويصلى عليه لقوله صلى الله عليه وسلم (صلوا على من قال لا اله الا الله) ويصلى على من قتل نفسه عامة الناس ولا يصلى عليه الامام القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يصل على قاتل نفسه، ولا يلزم ترك النبي الصلاة على قاتل نفسه ترك صلاة غيره وقد كان النبي صل الله عليه وسلم لا يصلى على من عليه دين لا وفاء له ويامرهم بالصلاة عليه كما يدل على هذا التخصيص ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (أما انا فلا أصلي عليه)

واتفق الفقهاء على وجوب تكفين الميت المسلم ودفنه وصرحوا بأنهما من فروض الكفاية (كالصلاة عليه وغسله ومن ذلك المنتحر لان المنتحر لا يخرج عن الاسلام بارتكابه قتل نفسه)(انظر ذلك مفصلا في الموسوعة الفقهية: انتحار) فالايمان هو البلسم والشفاء للجزع والهلع وهو المحقق للتوازن في الكائن البشري ولا يمكن ان يعوض الايمان في ترسيخ الطمأنينة والراحة النفسية لا المال الوفير ولا الجاه العريض ولا أي عرض من الاعراض الزائلة

ومشكلة الانسان في هذا الزمان في كل المجتمعات البشرية هي ضعف الايمان وغيابه والذي حل محله اللهث وراء سراب الحياة الدنيا حتى اصبحت اكبر هم الناس ومبلغ علمهم فاشقت الدنيا الناس وجعلت حياتهم جحيما لا يطاق.

شهوات البطن والفرج والملبس والمركب والمسكن وما يتبع ذلك من المتع لا تتجاوز الحلق والفضذين ثم ماذا بعد ذلك؟ لا شيء فكلما ازداد اللهث والاستجابة للشهوات ازداد العطش كشارب ماء البحر هنا يبرز دور الايمان الذي لا يمكن ان يقوم به أي طرف آخر

بذلك جاءت رسالات السماء وبعث الله الرسل والانبياء عليهم السلام ليجعلوا حياة الانسان غاية وهدفا ورسالة تتسامى عن كل ما هو زائل وتجب على تساؤلات الانسان فتزيل عنه الاوهام وتبعد عنه وساوس الشيطان وتأخذ بيده إلى شاطئ السلام وبر الامان الانسان اليوم مسكين لم تعد حياته كما كانت في سالف الازمان بسيطة ولكنها هنيئة تعويض ذلك بما ينسيه حسب زعمه الخاطئ وحسب وهمه الكاذب المصاعب والمتاعب بممارسات لا يمكن ان تكون فيها نجاته وامانه وسعادته.

يلجأ الكثيرون ممن غاب الايمان في حياتهم الى كل ما فيه هلاكهم والاضرار بكل ما وهبهم الله وأنعم به عليهم من صحة وعافية وسلامة عقلية فيبدلون في سبيل ذلك

الغالي والنفيس ويدخلون في التداين والاقتراض وينجرون إلى توفير الاموال بكل الطرق لا يهتمهم من اين وكيف ولو كان بالسرقه والنشل والتحيل ليقتتوا السموم القاتلة ويستهلکوها بداية من الخمر أم الخبائث وأكبر الكبائر بكل انواعها ومسمياتها، وانتهاء بالمخدرات والمفترات بكل انواعها: حشيشا وحبوبا مهلوسة وشما وحقنا يحقنون بها انفسهم كل ذلك بوهم الاستمتاع والنشوة وما هي الا نزوة وشقوة وهلاك محقق ليغيبيوا حسب دعواهم عن الواقع، واقع معيشتهم فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت واصبحوا في غربة وفي تعاسة وشقاوة تبدوا على اجسامهم وعلى وجوههم التي ترهقها قفرة وصدق فيهم الشاعر (الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله) حين قال

نشوة الكأس بعدها الفداء	***	وهي اصل الخسران والاسقام
نشوة الحب بعدها صدمات	***	من فراق أو جفوة أو ملام
نشوة الملك قد تصاب بعزل	***	يجعل الانف في احط الرغام
نشوة العترة المنيعة تمنى	***	بانقطاع يجيء غب التنام
نشوة المال والبنين وجاء	***	هل تنجي من علة أو حمام
نشوات بل كلها نزوات	***	ترهات في عالم الاوهام

إن معيشة هؤلاء المنحرفين معيشة ضنكا وصدق الله العظيم حين قال مصورا حال هؤلاء (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) ينتهي المطاف والحال بهؤلاء إلى الاقدام على الانتحار وقتل انفسهم ظلما وعدوانا مرتكبين ذنبا عظيما لا يغتفر توعدهم الله جزاء اقترافه بالعذاب الشديد في نار جهنم وساءت مصيرا ولو استضاء هؤلاء بانوار الايمان لاستبان امامهم السبل ولو عاد هؤلاء إلى كتاب الله العزيز لوجدوا فيه العلاج والدواء الشافي ولعادوا إلى رشدهم والقرآن الكريم مليء بالقصص- وقصص القرآن حقيقة لا يتطرق إليها الشك أوردنا الله للعبرة والموعظة كذلك كانت حياة رسل الله عليهم السلام لم ييأسوا من رحمة الله ولم يقنطوا من الفرج بعد كل شدة وكرب.

فهذا سيدنا نوح عليه السلام ظل يدعو قومه بلا كلل ولا يأس الف سنة الا خمسين وهذا يدنا ابراهيم الخليل عليه السلام يقول الله على لسانه (أبشرتموني على ان مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) الحجر 54/56

وكذلك شان نبي الله زكرياء عليه السلام لم يفقد الامل في ان يرزقه الله الولد يقول الله على لسانه (رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) مريم 4-6

وهذا سيدنا ايوب عليه السلام وقد اشتد به المرض جاءه الفرج بعد الشدة يقول جل من قائل (وايوب إذ نادى ربه اني مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) الانبياء 83-84 وهذا سيدنا يونس عليه السلام السجين في ظلام الليل وظلام البحر وظلام بطن الحوت لم ييأس ولم يفقد الامل يقول جل من قائل (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر

عليه فنأدى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) صدق الله العظيم الانبياء 87/88 وكذلك ينجى الله المؤمنين وعد منه لا يتخلف ولا يتأخر شريطة ان يصدق العبد المؤمن مع ربه ويتبرا من كل حول وطول وقوة وقدرة ويفوض امره الى ربه مفرج الكرب ومزيل الهموم والغموم الذى لا يعجزه شىء يفتح الابواب المغلقة الموصودة ويفتح الطرق السالكة ويسخر من شاء وما شاء من مخلوقاته ليكونوا فى قضاء حوائج المحتاجين من مصابين ومبتلين ومظلومين والفضل أولا وآخرا هو لله جل وعلا الذى وعدنا وهو لا يخلف الميعاد باننا اذا دعوانه مخلصين واذا دعوانه مضطرين استجاب لدعائنا وقضى حاجاتنا واذهب عنا همنا وغمنا اليس يقول وقوله الحق (امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء)

هذا الباب العظيم الشأن من ابواب الايمان باب الثقة فى الله والالتجاء الى الله هو البلسم والشفاء من اليأس والقنوط من رحمة الله الواسعة القريبة جدا من عباد الله المتقين المحسنين

هذا الباب العظيم الشأن باب الثقة فى الله من ابواب الايمان هو الكفيل بالقضاء كليا على الاوهام وعلى اليأس والقنوط والخوف من المصير هذا هو علاج كل ظواهر الشقاء والانحراف والجريمة التى منها قتل النفس والانتحار.

أولا أجمعت كلمة العلماء قديما وحديثا على الانتحار مهما كانت اسبابه ودوافعه من أكبر الكبائر.

ثانيا: ان أى مشكلات صغرت ام كبرت لا تسوغ لصاحبها الاقدام على هذه الجريمة النكراء

ثالثا: ان الدوافع التى تقف وراء الانتحار ياتى فى صدراتها غياب الوازع الدينى وضعف الجانب الروحى والجهل بحكمة الابتلاء والتفكك الاسرى وغياب الروابط الاجتماعية وتعاطي المخدرات والفشل الدراسى وبعض المشاكل الاقتصادية

رابعا: وللقضاء على تلك الفعلة (الانتحار) التى يرتكبها البعض يقترح ما يلى:

- تكثيف البرامج والقوافل الدعوية والتوعوية لافراد المجتمع كافة لتحصين الشباب ووقايتهم من الاقدام على ارتكاب هذه الجريمة
- القيام بحملات توعوية الكترونية على مواقع التواصل الاجتماعى وتقنيىد مزاعم من يبررون لهذه الجريمة

- العمل على حل المشكلات التى تعترض الشباب ولا يستطيعون التغلب عليها
- استحداث مواد قانونية تلزم الجهات الشرطة والقضائية والصحية بتحويل حالات محاولي الانتحار المراكز النفسية المتخصصة للعلاج
- سن قانون يعاقب المحرضين على الانتحار فى وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعى والمروجين للافكار المشجعة عليه. (جاء ذلك فى البيان الختامى لمؤتمر الازهر جانفى 2020)

خطبة جمعة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوى بالمركب الاسلامى البحرية تونس

وثيقة لا يوقف هجمات الدم التي أريقت على مذابح التكفير الا مذهب أهل السنة والجماعة

بقلم: فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الازهر

فيسعدني أن أبدأ كلمتي هذه بتقديم خالص الشكر الجزيل لدولة أوزباكستان: رئيساً وحكومةً وشعباً، وأخصُّ بالشكر فخامة الرئيس مير ضياييف، رئيس جمهورية أوزباكستان، على دعوتي للمشاركة في هذا المؤتمر الكبير، وعلى كرم الضيافة وحفاوة الاستقبال. وإنه لمؤتمرٌ بالغ الأهمية في موضوعه، وفي سياقه الضروري الصحيح: زماناً ومكاناً وغايةً.. وهو أمانة عليّ فطنة القائمين عليه وانتباههم لضرورة اكتشاف الجذور، والتقيب في التراث العريق عن الأصول الثابتة والقواعد الراسخة، واستصحابها للتدرع بها في معترك النهضات وصراع الحضارات..

إن هذا المؤتمر هو -بامتياز- مؤتمر اكتشاف الذات وملامح الهوية وقسماتها، وإزاحة الغبار عن الرصيد الحضاري، والموروث الفكري والروحي، من علوم العقل والنقل والذوق، بعدما أوشك أن يتلف أوارهُ، ويتطمس معالمه في فترات ظلام حالكٍ مرّت ببلادكم كما مرّت ببلاد المسلمين في كلِّ قارات الدنيا.

والذي يدقق النظر في حال الأمة الإسلامية اليوم - لا يساوره أدنى شك في أنها تقف في مفترق طريقيين لا ثالث لهما: إما التطور في إطار تأكيد الذات والحفاظ عليها، واتخاذها مرجعاً أولٍ لما تأخذ وما تدع، وإما التيه والانتحار في حال إلغاء الذات أو الهروب منها أو تجاهلها.. ولعلي لا أكون متشاكماً لو قلت: إن عالمنا العربي والإسلامي لا يزال يراوح مكانه بين هذين النقيضين: لا يحسم أمره، ولا يعرف أين يولي وجهه، رغم أنه تحرر من الاستعمار منذ أكثر من نصف قرن مضى، وتلكم فترة كافية للنقاهة واستعادة العافية، والقدرة على اتخاذ القرار وضبط الاتجاه.

وقد زاد الطين بلةً طغيان العولمة ودعوتها لصياغة العالم صياغةً كونيّةً واحدةً، وتميطه في نمط حضاري واحد «يُمكن الأقوياء من فرض الديكتاتوريات اللاإنسانية» - فيما يقول الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي - والتي تسمَحُ بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل التجاري وحرية السوق..

ولسنا نبالغ إن قلنا: إن العولمة ليست إلا نسخة متوحشة، وعهداً جديداً من عهود الاستعمار «يشطر العالم شطرين: عالم المنتجين المسيطرين عبر الشركات والبنوك والشبكات، وعالم المستهلكين للمأكولات والمعلبات والمشروبات والصور والمعلومات التي تفرض عليهم» ().. ولم ينس المستعمرون -كالعادة- أن يقدموا بين يدي «العولمة» نظريات استعمارية ألبسوها ثوب الفلسفة والبحث العلمي، مثل نظرية: «صراع الحضارات»، ونظرية: «نهاية التاريخ»، تعمل على تزييف وعي الشعوب وشل إرادتها وتحذيرها من استعادة شخصيتها واكتشاف ذاتها وهويتها، وهذه النظريات ليست جديدة ولا مستحدثة، بل هي خمر قديم يعاد بيعه في جرار جديدة، فيما يقول المثل المعروف.. فمثل هذه النظريات ليست في الحقيقة - إلا استساخاً للنظرية العنصرية التي سعت بين يدي الاستعمار الأوروبي في القرون الثلاثة الماضية، وأعني بها نظرية «عبء الرجل الأبيض» أو «أمانة الرجل الأبيض»، وتبعته أمام الله لتعليم الذين لم يبلغوا مبلغه في العلم والارتقاء، من غير أصحاب البشرة البيضاء.. وفيما عرف -وقتها- بنظرية «العنصرية الآرية»، وهي نظرية ما لبث البحث العلمي أن أحالها إلى مجرد زعم عنصري، وأكذوبة كبرى على العلم وعلى التاريخ. والشيء نفسه يقال على فلسفات استعمارية أخرى عاصرتنا، ووعدتنا بالفردوس المفقود إن نحن أدزنا ظهورنا لله، وكفرتنا به وبرسالته، ونفضنا أيدينا أو غسلناها

-من كل موارثنا التي أثمرتها الأديان- منذ ثلاثة آلاف عام تقريباً، واستبدلنا بها فلسفات الإلحاد والديالكتيك الطبيعي والتاريخي، وخرافة عالم الغيب وفوضى الأخلاق، وطيش الأفكار وحرية التحلل من القيم، وتدمير الحدود بين الخير والشر، والحسن والقيح.. وقد جسد لنا كل ذلك في مسرحيات وروايات وأفلام ومقررات جامعية في الفلسفة والسياسة والاقتصاد.. ونحمد الله أن امتد بنا العمر لنرى بأم أعيننا كيف انهار المعبد على رهبانه، دون مقدمات أو أسباب أو علل تؤدي إلى نتائجها، وتجيئ على مقدارها.

لا يسبقن لأذهان حضراتكم أن هذه المقدمة التي ربما طالت قليلاً - غريبة على موضوع المؤتمر، وهو: إمام الهدى أبو منصور الماتريدي - رضي الله عنه - لأنها في واقع الأمر تردّ موردّ البيان والكشف عن أهمية هذا المؤتمر، وأنه مؤتمر لا تبعثه أريحية التكريم لأوائل الرواد من العلماء وأئمة الفكر، بقدر ما تبعثه ضرورات الشعوب من الأمم المقهورة أو المغلوبة على أمرها، وحقها في عيش آمن مشترك، وسلام يعم الشرق كما يعم العرب، كيلا تتفاقم الأزمة ويرتد العالم بأسره إلى عصور ما قبل التاريخ. بل الأحرى والأخلق بهذا المؤتمر أن ننظر إليه بحسبانة ضوءاً يسطع في نهاية نفق شبه مظلم، أو مركباً آمناً في بحر متلاطم الأمواج، وذلك من منظورين بالغين الدقة والأهمية:

المنظور الأول: هو تحديد موقف الأمة من طوفان الحداثة وما بعد الحداثة، وتسلب رؤاها وأنظارتها، وبكل وسائل التواصل الحديثة، على عقول الصغار والكبار، بل على طائفة ممن يملكون التأثير على عقول الشباب، سواء بالكلمة المكتوبة أو «المتلفزة» على شاشات الفضاء، أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي.. والإخطار: أن بعضاً ممن يتزيفون بزينا ويتحدثون بلغتنا، اختلطت في أذهانهم أوراق «الحداثة» في نسختها العربية، بأوراق دعوة التجديد أو دعوة إصلاح الفكر الديني، ونتج من هذا الخلط -المتعمد أو غير المتعمد- استباحة الحديث عن الإسلام من غرباء على علومه النقلية والعقلية، بل استباحة التطاول -أحياناً- على أئمة المسلمين وأعلامهم الأفاضل.. وليس لهذا الاضطراب الذي أوشك أن يكون «تيهاً يتربص بالأمة كلها» إلا مخرج واحد هو «إحياء التراث»، ودراسته وتدرسه في المعاهد والجامعات المختصة، وانتقاء ما يساعدها على نهضة حديثة تجمع بين قيم التراث والتطور الفكري والتقني.. وهذا أمر يحتاج إلى أن يعقد له أكثر من مؤتمر يضم جميع علماء المسلمين للتباحث حول كيفية الإحياء، وتحديد معايير «الفرز» بين ما يستدعى من الأطر التشريعية والقواعد الفقهية التي تسمح بتغير الصور الجزئية وتبديلها، وبين ما يبقى خاصاً بزمنه الذي قيل فيه، ولا يفيدنا استصحابه في زمننا هذا.. وهنا يكون بعث التراث وعقد المؤتمرات المتخصصة في مجاله أمراً يجب تشجيعه والثناء عليه، وشكراً مرة أخرى لدولة أوزباكستان على هذا السبق الذي يحق لها أن تفخر به، وتعزز. أما المنظور الثاني: الذي تتبين فيه «قيمة هذا المؤتمر» فينبع من أنه يأتي تعبيراً عن مذهب «أهل السنة والجماعة» وهو مذهب السواد الأعظم من المسلمين، ويعني هذا المفهوم في المقام الأول: الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث من الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، وأئمة علوم الذوق والسلوك، وأهل اللغة والبيان، ومن المؤلم أن نشير -من جديد إلى ما ابتليت به الأمة في الآونة الأخيرة من اضطراب مفهوم «أهل السنة والجماعة» في أذهان نابتة من أبنائها جعلوا منه شارة بل علماً على التشدد والتطرف، والغلو والتكفير، واستباحة الدماء، وحكموا على من لا يعتقد عقائدهم بالخروج من دائرة أهل السنة والجماعة.. ونحن في الأزهر نعمل ليل نهار على تصحيح هذا المفهوم، وعودته إلى دلالته الحقيقية التي أجمع عليها المسلمون على مدى أكثر من ألف عام.

ونحن إذ نبذل الجهد في التعريف بمذهب الإمام الماتريدي الحنفي في بلاد ما وراء النهر وما جاورها، ومذهب معاصره الإمام الأشعري الشافعي في العراق والشام ومصر والمغرب، فإننا

نفلُ ذلك وفاءً للأزهر الشريف الذي التحقْتُ به عام 1956م من القرن الماضي، ودرستُ في مرحلتيه: الابتدائية والثانوية شرح الخريدة، وشرح الجوهرة، وهما كتابان مدرسيتان في تعليم مذهب أهل الحق.. وفي كلية أصول الدين التي التحقت بها عام 1965م، نسجنا على المنوال ذاته في مقررات علم الكلام، وسَمعنا أوّل ما سمعنا في هذه الكلية العريقة عبارة الإمام النسفيّ التي يفتتحُ بها العقيدة المنسوبة إليه. وهي: «قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة، وإلعلمُ بها مُتحقق، خلافاً للسفسطائية»، وحفظنا ما قاله الشرح في بيان المراد من «أهل الحق»، وأنهم الأشاعرة والماتريديّة.

وقد كتب الخلود لمذهب هذين الإمامين بسبب أنه لم يكن مذهباً جديداً اخترعه الماتريديّ أو الأشعريّ، يميل إلى العقل على حساب النص، أو ينحاز لظاهر النص على حساب العقل، وإنما هو مذهب يقرّر ما عليه أصحاب رسول الله، يتمسك به ويناضل عنه ويقيم الحجج والبراهين عليه فيما يقول: تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية.

وأختم بتساؤل قد يبدو سطحياً في ظاهره، وإن كان محورياً في الواقع ونفس الأمر، وهو: هل الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى مذهب الإمامين الجليلين: الماتريدي والأشعري ومذهب أهل الحديث؟ والجواب المباشر هو: نعم وألف نعم، بل أذهب إلى أبعد من ذلك لأقول: إنه لا يوقف حمامات الدماء التي أريقت على مذابح التكفير إلا مذهب أهل السنة والجماعة. فنحن نعلم يقيناً أن الجماعات المسلحة التي تنتسب للإسلام لا ترتكب جرائم القتل وإراقة الدماء إلا انطلاقاً من عقيدة فاسدة تقول: إن مرتكب الذنوب والكبائر كافر ودمه حلال، وإن صلى وصام وقال: إنه مسلم، فكل مرتكب لكبيرة هو في نظرهم كافر، ودمه وماله وعرضه حلال.. فالتكفير بالكبائر هو بريد استحلال الدماء، وهو مذهب دموي يتستر بالدين، وهنأ نلفت أنظار غير العلماء والمتخصصين- إلى أن المذهب الوحيد، وأكبر: الوحيد، الذي لا يكفر أحداً من أهل القبلة، ولا يخرج أحداً من المسلمين من دائرة الإسلام، حتى وإن ارتكب جميع الكبائر ومات عليها - إنما هو مذهب أهل السنة والجماعة، يقول الأشعري وهو يلفظ آخر أنفاسه في بغداد: «اشهدوا عليّ أني لا أكفر أحداً من أهل هذه القبلة، لأن الكل يُشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف عبارات».. والمذهب نفسه نجده عند الإمام الماتريدي، وبصورة موسّعة تعقب فيها آراء الخوارج والمعتزلة وسائر المكفرين بالكبيرة، وفندها عبر ست وخمسين صفحة في الباب الرابع من كتابه الرائع، كتاب التوحيد، وهذا هو ما قرره رسول هذه الأمة في بيان صريح واضح وضوح الشمس في رابعة النهار «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته» .

وإني لأتساءل: ألا يمثل مذهب الإمام الماتريدي، الذي نلتقي اليوم لأحياء مدرسته في سمرقند مسقط رأسه، وفي جوار مثواه الأخير - ألا يمثل هذا المذهب طوق نجاة لشبابنا الذي انخرط مع المكفرة والقنلة؟ ويستوجب من الأمة كلها أن تروّج هذا المذهب الذي يُعبّر في أمانة وصدق عن روح الإسلام وأنحيازه للإنسان، ولحرمة دمه وماله وعرضه. وألا تدخر الأمة وسعاً في تدريسه للناشئة ولطلاب العلم، وأن تفسح له ولو مكاناً ضيقاً فيما يبته إعلامها من لقاءات وحوارات.

وأختم كلمتي بدعوة الباحثين إلى بذل المزيد من الجهد للكشف عن تراث هذا الإمام العبقري، المتعدد المواهب والمعارف والعلوم.. وإني لأعتز بأن أقول: إن علماء الأزهر الشريف قدّموا بعضاً مما يستحقه شيخنا الماتريدي رحمه الله حيث كتب عنه في أروقة الأزهر قرابة خمسين رسالة جامعية عنه وعن مدرسته الماتريديّة، وفي الطريق المزيد إن شاء الله عن هذا الإمام وعن مدرسته في العقيدة والأصول والتفسير والفقه وغيرها..

*خطاب الامام الاكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الازهر في مؤتمر الامام الماتريدي الذي

انعقد بسمرقند أوزبكستان مارس 2020

فتاوى مفتارة

أجوبة فضيلة الشيخ كمال الدين جعيط رحمه الله على أسئلة المسلمين في الغرب

تعميماً للفائدة نورد لقراء: مجلة جوهر الاسلام القسم الثاني والاخير من أجوبة على أسئلة تقدمت بها الهيآت والجمعيات الإسلامية في أوروبا والأمريكيتين إلى أهل الذكر من العلماء والفقهاء والمفتين والجماع والهيآت. وقد كنا أحلنا بعض هذه الأسئلة على فضيلة الشيخ كمال الدين جعيط رحمه الله مفتي الجمهورية التونسية السابق فبادر مشكوراً بالإجابة عليها.

العمل في الأسواق والمتاجر التي يشكل الخمر جزءاً منها

4) السؤال الرابع: مسألة العمل في الأسواق والمتاجر التي يشكل الخمر جزءاً منها؟

الجواب: من المعلوم أن الخمر نجسة وقد لعن الله شاربها. وفي الحديث (لعن الله الخمر وشاربها وساقيتها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل أثمانها) رواه الترمذي وابن ماجة. وقال تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون). فقد جعلها الله رجساً ومن عمل الشيطان فلا يتأتى منها إلا الشر. وزاد فبين أن في اجتنابها الفلاح، وفي اقترابها الصد عن ذكر الله. وحيث بين الرسول أن مجالسة شاربها والأكل على مائدته وعلى مائدة فيها شيء من المسكرات ونهى عن ذلك وقال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر) كما أخرجه الدارمي عن جابر. فإذا جاء من يفتح دكاناً يبيع فيه الخمر في حي من الأحياء أو في سوق من الأسواق، فإن كان في بلد إسلامي فواجب على سكان الحي أو السوق أن يمانعوه في فتحها، فإن أمره فلم يمتثل فلا يخلو الحال أما ان يكونوا في بلد إسلامي فيجب عليهم أن يعلموا السلطة حتى تمانعه من ذلك، وإما إن كانوا في بلد غير إسلامي ممن يبيح الخمر فليجادلوه بالتي هي أحسن فإن امتثل فيه ونعمت وإن امتنع فلا إثم عليهم بعد أن بذلوا مجهوداً لممانعته. وإذا كان الأمر كذلك وأمكن للمسلم الذي هو في بلاد الكفر فلينتقل إلى مكان آخر وأرض الله واسعة. فإذا قام بكل ذلك فلا إثم عليه إذا لم يتمكن من ممانعته. وليعتبر أن هذا الجار هو جار خبيث فلا يخالطه ولا يمازحه وليبتعد عنه بقدر المستطاع. والله أعلم وأحكم.

عمل المرأة المسلمة في المكاتب والشركات مع مراعاة الحجاب

5) السؤال الخامس: مسألة عمل المرأة المسلمة في المكاتب والشركات مع مراعاة

الحجاب وعدم الخلوة مع الأجنبي

الجواب: إن الله خلق الإنسان للعمل في هذه الحياة لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة فقال (من يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً). والإنسان اعم من أن يكون ذكراً أو أنثى، مجازى خيراً كان أو شراً.

والخطاب متوجه إلى الجميع. فالمرأة المسلمة إذا لم تكن متبرجة بزينة وكانت متحجبة بالحجاب الشرعي ولم تكن في خلوة مع الأجنبي فالله يجازيها على عملها لا فرق بينها وبين الرجل سواء كان العمل لمصلحة دنيوية أو مصلحة أخروية. فكل مجازى عن عمله في الدنيا وفي الآخرة. ويجب على المرأة أن لا تكون عالة على غيرها خصوصا في هذا الزمان الذي ارتقت فيه المرأة في ثقافتها وفي حياتها فلم يبق فرق فيه بين ذكر وأنثى في الإدارات والشركات والمؤسسات. والله أعلم وأحكم.

دفن المسلم في مقبرة مستأجرة

(6) السؤال السادس: مسألة دفن المسلم في مقبرة استؤجرت أرضها لمدة معينة ولتليل

دعاء الصادقين ودفن الميت في أفضل مقبرة؟

الجواب: معلوم أن المقبرة أفضل مكان للدفن وذلك للإتباع ولتليل دعاء الصادقين. كما أن دفن الميت في أفضل مقبرة البلد، أولى. وإنما دفن صلى الله عليه وسلم في بيته لأن ذلك من خواص الأنبياء في أنهم يدفنون حيث يموتون. ومعلوم أنه يكره الدفن في الدور ولو كان الميت صغيرا. وكذلك لا يجوز دفنه في مدفن خاص كما يفعله بعضهم فيبني مدرسة أو مسجدا ويطلب أن يدفن فيه. وكذلك لا يجوز الدفن في المسجد، فقد صرحت المالكية بأنه يكره دفن الميت في المسجد الذي يبني للصلاة فيه. وترى الحنابلة أنه يحرم دفنه في مسجد ونحوه كمدرسة ورباط لتعيين الواقف الجهة ليعير ذلك، فيجب أن ينبش عنه عند الحنابلة عملا بشرط الواقف. كذلك يحرم دفن شخص في ملك غيره بلا إذن صاحبه لأن هذا من الاعتداء والعدوان. كذلك من دفن في أرض مستأجرة لمعين ولصاحب الملك أكان ملكا للذات أو للانتفاع. وكذلك من دفن بأرض مستأجرة لمعين ولصاحب ملك الذات أو المنفعة إلزام دافنه بإخراجه ونقل جثته ليفرغ له ملكه عما شغله بغير حق. والأولى تركه حتى يبلى لما في ذلك من دفع انتهاك حرمة الميت. والله أعلم وأحكم.

التخلص من الأموال الربوية

(7) السؤال السابع: كيف التخلص من الأموال الربوية؟

الجواب: لنا أحد طريقتين للتخلص من أموال الربا: أولاها يقع إخراج الفائض على رأس المال تطهيرا له، ولك أن تدفعها في الخطايا والمخالفات. ولتعلم أن ثواب صدقة هذه الأموال لأربابها لأنها أخذت منهم غصبا. الطريق الثاني أن تخرج هذه الأموال وأن تشتري بها آلات صالحة للعموم. طريق ثالث وهو أن تدفع لبيت مال المسلمين أي للخزينة باعتبار أنها منزلة منزلة بيت مال المسلمين. والله أعلم وأحكم.

استهلاك أموال مغتتمة من اليانصيب

(8) السؤال الثامن: هل يجوز استهلاك أموال مغتتمة من اليانصيب في إقامة المراكز

والمؤسسات الإسلامية؟

الجواب: إن المال المتحصل من جهات حرام وممنوعة لا يجوز إتلافها بحال، لأن المال مال الله ولا يجوز التفويت في أموال الله. كما لا يصح تملك أموال والانتفاع بها لأنه معلوم ممن حصلت له، فعليه أن يدفعها في مثل الضرائب والخطايا. والأولى أن يستغني عنها

ويدفعها لصناديق الضمان أو شراء الأدوية للمستشفيات مما هو مهياً للاستفادة منها .

عضوية المرأة المسلمة في إدارة الجمعيات والمراكز

(9) السؤال التاسع: هل يجوز للمرأة المسلمة أن تكون عضوة في إدارة جمعية إسلامية

أو مركز إسلامي مع وجود رجال؟

الجواب: ليس هناك ما يمانع من أن تكون المرأة عضوة في إدارة جمعية إسلامية أو مركز إسلامي إذا كانت في مأمن من الاعتداء عليها أو مغازلتها أو المس من كرامتها . وإن المرأة المسلمة النظيفة العفيفة المدركة لما لها وما عليها المتدينة إذا كانت في غير خلوة لا تخشى على نفسها الفساد وهي بثقتها في نفسها وتقواها هي كالرجل في العمل . وإن الاختلاط بين الجنسين يختلف بحسب الوسائل والغايات وبحسب ما يجري فيه هذا الاختلاط . والقاعدة أنه إذا اجتمع الحلال والحرام واختلطت الأمور قدمت الحرمة أو الكراهة على الحلية عملاً بالاحتياط وسد الذريعة ، فإن الوسائل تأخذ حكم الغايات . ولا شك أن أثر الاختلاط يوجب الاجتهاد والتحري غالباً فإذا تميزت الأمور وتحققنا أنها لا تؤدي إلى محظور فالأصل في الأشياء الإباحة والجواز . وبناء على ما ذكرنا فاختلاط الرجال بالنساء يختلف بحسب المواقف لقواعد الشريعة في الموافقة أو عدمها فيحرم الاختلاط في الخلوة بالأجنبية والنظر بشهوة إليها . كذلك تنزل المرأة بعدم احتشامها وتحرم بالعبث واللهو وملامسة الأبدان كما نشاهده في الأفراح والموائد والأعياد . فالاختلاط الذي تكون فيه مثل هذه الأمور حرام لمخالفته لقواعد الشريعة . قال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ولا يدينن من جلابيهن) النور 30-31 . وقد قال صلى الله عليه وسلم (لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما شيطان) . وقد قال ابن فرحون في الأعراس التي يمتزج فيها الرجال والنساء: لا تقبل شهادة بعضهم لبعض إذا كان فيه ما حرمه الشارع لأن بحضورهن هذه المواضع تسقط عدالتهم . وكيف ما كان الأمر فإنه يستثنى من الاختلاط المحرم ما يقوم به الطبيب من النظر واللمس لأن ذلك موضع ضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها . والله أعلم وأحكم .

الاشتراك في الاجتماعات متعددة المذاهب

(10) السؤال العاشر: هل يجوز الاشتراك في الاجتماعات متعددة المذاهب التي تضم

ضمن برامجها طقوس مذهبية من قبل أصحاب ديانات مختلفة؟

الجواب: يقول الله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) . فقد تضمنت الآية تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم على الدعوة وأن لا يؤذيه قول المشركين له من انه مفتر ، أو أن الذي يعلمه بشر . واعلمه ربه أن لا يصد ذلك عن الدعوة إنه سبحانه لا يهدي الذين لا يؤمنون بآيات الله . فإن المشركين لم يتركوا حيلة يحسبون أنها تثبط النبي صلى الله عليه وسلم عن الدعوة إلا ألقوا بها إليه من تصريح بالكذب وسخرية وتهديد وبداء واختلاق وبهتان كما حكاه القرآن في كثير من الآيات . ذلك أن أصحاب الأديان والمذاهب المختلفة يجهلون مراتب أهل الاصطفاء ويزنونهم بمعيار موازين نفوسهم ويحسبون أن ما يأتون به من الخزعبلات مثبتاً له

صلى الله عليه وسلم وموشكا لأن يصرفه عن دعوتهم لما يحييهم ويهديهم إلى الصراط السوي والى رضا الله. وقد أمر الله رسوله أن يجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة. والحكمة هي المعرفة المحكمة الصائبة المجردة عن الخطأ الخالصة من الخطأ في تعليم الناس وتهذيبهم بطريقة لا لبس فيها ببيان الحقائق المتشابهة بعضها ببعض. وبعبارة أخرى بمجادلة بما يصلح حال الناس في عقائدهم إصلاحا مستمرا لا يتغير. وبالموعظة الحسنة وهي القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير وبمقولة لينة مقنعة، حيث الحضور والأشتراك في هذه المجالس وإبداء الآراء الصائبة المقنعة وإبلاغ ذلك من غير انفعال ولا غضاضة إذا أُلجأت الدعوة إلى المحاجة. فالاجتماع والمشاركة في هذه الاجتماعات لازم والهروب منه والمقاطعة خطأ. وإنما يجب أن تكون الموعظة بإلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير. وقد قال تعالى مخاطبا موسى وهارون (اذهبا إلى فرعون انه طغى فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى). إن المجادلة بالحكمة هي تعليم لمتطلبي الكمال من معلم يهتم بتعليم طلابه، والمجادلة لما كانت محاجة في فعل أو رأي لقصد الإقناع بوجه الحق فهي لا تعدو أن تكون من الحكمة أو من الموعظة وقد جعلت قسيما لهما. والله أعلم وأحكم.

حضور جنازة غير المسلم

(11) السؤال الحادي عشر: مسألة حضور جنازة قريب أو زعيم غير مسلم؟

الجواب: إن حضور الأقارب وتشجيع جنازتهم مشروع إذ هو من المواساة. فأما بين المسلمين فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوى وعبادة المريض وإتباع الجنائز وإذا استنصحك فانصح له) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الترمذي والنسائي وابن حبان. ومن اتبع من الأقارب من الكفار الجنائز فينبغي لهم ولن تبع الجنائز أن يطيل الصمت ويكره الكلام ورفع الصوت. وإذا كان من المسلمين فليذكر الله بصوت خافت أو يقرأ القرآن سرا لا جهرًا ولا يرفع الصوت بذكر الله كما يفعله أهل البدع، فإن ذلك مخالف للسنة النبوية. ولا تشيع الجنائز حتى يصلي عليها. ولا يمكن الكافر من الوقوف مع المصلين على الجنائز ولا يجلسون حتى تحط الجنائز للصلاة عليها. وإن حضور الأقارب من غير المسلمين لعظيم من العظماء وزعيم من الزعماء فذلك إنما معاملة ومعاملة لأهل الهالك، بخلاف حضور المؤمن فإنها للصلاة على الجنائز فعسى أن يكون دعاؤه مستجابا لأخيه المؤمن. والله أعلم وأحكم.

وراثة المسلم لقريبه غير المسلم

(12) السؤال الثاني عشر: هل يجوز توريث المسلم من قريبه الكافر؟

الجواب: من المعلوم المقرر أن أسباب الإرث ثلاث: الزوجية والقرابة والعصوية والولاء. وشروطه انتفاء موانعه. والموانع ثلاث: الرق والقتل واختلاف الدين. وعليه فلا يرث الكافر المسلم إجماعًا، ولا يرث مسلم كافرًا عند الجمهور، ولا يرث كافر كافرًا إذا اختلف دينهما خلافا لأبي حنيفة والشافعي. وإذا أسلم الكافر بعد موت مورثه المسلم لا يرثه. والمرتد، في الميراث، كالكافر الأصلي، خلافا لأبي حنيفة فعنده أن المسلم يرث

من ارتد . وقد جاء في الحديث (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم) ويكون ماله فيئاً لبيت المال سواء اكتسبه في الإسلام أم في الردة.

إن اختلاف الدين بين المورث والمورث بالإسلام وغيره مانع من الإرث باتفاق المذاهب الأربعة، فلا يرث المسلم كافراً ولا الكافر مسلماً سواء بسبب القرابة أو الزوجية لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يرث المسلم كافراً ولا الكافر مسلماً) رواه الجماعة إلا النسائي عن أسامة بن زيد . وهذا هو الراجح انه لا ولاية بين المسلم والكافر . وبهذا أخذت القوانين المصرية والسورية والتونسية . وذهب معاذ ومعاوية والحسن وابن الحنفية ومحمد بن علي بن الحسن ومسروق رضي الله عنهم إلى أن المسلم يرث من الكافر ولا يرث الكافر منه لحديث (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) رواه الدارقطني والبيهقي عن عائذ بن عمرو . ورد عليهم بأن المراد العلو بحسب الحجة أو بحسب القهر والغلبة أي النصر في العاقبة للمسلمين . وذهب أحمد بن حنبل إلى أن المسلم يرث عتيقه الكافر لعموم الحديث السابق (الولاء لمن أعتق) . أما ارث غير المسلمين مع اختلاف الدين بينهم كاليهود والنصارى ففي جعله مانعاً من الميراث خلاف . قالت المالكية : لا يرث كافر كافراً إذا اختلف دينهما كأن يكون احدهما نصرانياً والآخر يهودياً لأنهما دينان مختلفان ، ولا يرثان من مشرك ولا يرثهما مشرك لعموم الحديث السابق (لا توارث بين أهل ملتين شتى) ولأنه لا مولاة بينهم . أما غير اليهودية والنصرانية من سائر الملل والنحل فإنها تعتبر شيئاً واحداً ويتوارث بعضهم من بعض . وهناك رواية أخرى عن مالك أن اليهود ملة والنصارى ملة وكان من الملل الأخرى عبادة الشمس وعبادة النار وغير ذلك ملة مستقلة على حدة فينحصر التوارث بين اتباع الملة الواحدة دون ما عداهم . وذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الكفار يرث بعضهم بعضاً لأن الكفر ملة واحدة في الإرث لقوله تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) . فهو بعمومه يشمل جميع الكفار ، وكذلك استدلوا بقوله تعالى (فما بعد الحق إلا الضلال) . ولأن جميع ملل الكفر في نظر الإسلام سواء في البطلان كاملة الواحدة ولأن غير المسلمين سواء في معاداة المسلمين والتمالؤ عليهم فهم في حكم ملة واحدة . وبهذا أخذ القانون المصري فنصت المادة (6) على أنه يتوارث غير المسلمين بعضهم من بعض . وقال ابن أبي ليلى : اليهود والنصارى يتوارثون فيما بينهم ولا توارث بينهم وبين المجوس . والخلاصة أن لا توارث بين ملتين فلا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم لا فرق بين ما كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا الزمان ولا إلى يوم قيام الساعة . فإن شريعة الإسلام جاءت أبدية وكلية وعامة لا تغيير لكلمات الله ذلك الدين القيم . والله أعلم وأحكم .

اللجوء إلى المحاكم الغير المسلمة في مسائل الزواج والطلاق

(13) مسألة اللجوء إلى المحاكم الكافرة في مسائل النكاح والطلاق؟

- الجواب: من المعلوم المقرر أن الإسلام يشترط لصحة التصرفات أحد عشر مسألة:
- (1) العقد على المرأة المسلمة . (2) ولاية عقد نكاحها . (3) الشهادة على عقد نكاحها .
 - (4) شركة المفاوضة وهو أن يتساوى الشريكان في البلاد والدين والتصرف . (5) الوصية

بمصحف فلا بد أن يكون الموصى له مسلماً. 6) النذر فلا يصح من غير إسلام لأنه قربة وفعل الكافر لا يكون ولا يوصف بالقربة. 7) القضاء بين المسلمين. 8) الولايات العامة كلها أي الخلافة وما تفرع عنها من الولاية وإمارة الجيوش والوزارة والشرطة والدواوين المالية والحسبة وكل ذلك لقوله تعالى (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) النساء 141. 9) الشهادة على المسلمين في حال غير ضرورة الوصية في السفر. 10) الدين أو الملة ويشمل التوحيد والاعتراف ويوم الحساب والعقاب ويشمل الحكم. ويطلق على ما شرعه الله وقد يختص بدين وملة الإسلام كما قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام).

وهنا يبرز سؤال: ما يخرج المرء عن الإسلام؟ القاعدة أن كل ما يصير به الكافر بالإقرار به مسلماً وكذلك كل ما يقطع الإسلام عن المسلم بإنكاره كما ذكر ذلك النووي، وكذا كل ما يقطع الإسلام عن نية الكفر أو قول الكفر أو فعل الكفر سواء استهزاء أم اعتقاداً أم عناداً، وكل من فعل فعلاً من خصائص الكفار على أنه دين أو ترك فعلاً من أفعال المسلمين يدل على إخراجه من الدين، فهو كافر بهذين الاعتقادين لا بالفعلين، كما في شرح ابن العربي في سنن الترمذي والتبصرة لابن فرحون. وجاء في الدر المختار: لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه ثم ما تيقن أنه ردة يحكم بها وما يشك أنه ردة لا يحكم به، إن الإسلام الثابت لا يزول بالشك مع إن الإسلام معلوم يعلو ولا يعلو عليه. وبناء على ما ذكرنا ونقلنا فلا يجوز للمسلم اللجوء إلى المحاكم الكافرة في مسائل النكاح لأن من شرط النكاح للمسلمة أن يكون الناكح مسلماً، فلا يصح للمسلمة أن تتزوج بالكتابي أو المجوسي. وكذلك فإن الإسلام جعل الطلاق لمن أخذ بالساق، وليس كذلك القوانين الوضعية. فلجوء المسلم إلى المحاكم الأجنبية غير الإسلامية بطريق الاختيار لا بالاضطرار هو ردة بالفعل ولا يجوز في الإسلام. والله أعلم وأحكم.

التجنس بجنسية بلاد غير مسلمة

14) السؤال الرابع عشر: المسائل المتعلقة بالتجنس بجنسية بلاد من البلدان والعمل في إدارتها التي فيها حساسية كالشرطة والجند والمحاماة والقضاء؟
الجواب: لقد بينا في السؤال السابق ما به يتحقق الإسلام. ولذا إذا كان قانون الدولة التي تنس بجنسيتها مسلم ما، يتماشى مع الإسلام وشروطه ومقاصده فذلك جائز لأن الإسلام لا يعتبر القومية وإنما يعتبر الشعوب الإسلامية كلها أمة واحدة تتحد في العقيدة وفي عبادة الله وبالإيمان بالقدر خيره وشره وبالحساب والعقاب وبوجود الجنة والنار. ولا يرضى من الأحكام لنفسه إلا بما ارتضاه الله له من دين الإسلام. أما إذا كان قانون البلد الذي يريد التجنس بجنسيتها غير إسلامي، فإن كان ذلك منه عن اعتقاد ان هذه الأحكام الوضعية من العدل ما قرر وصدق من الأحكام التي جاء بها القرآن، فهذا كفر. وإن كان يتجنس لكي يقضي أمراً كان ممنوعاً منه لولا أنه غير متجنس لما تمكن من حقه وهو قد تجنس لكي يصل إلى حقوقه، وهو إنما يتدين بدين الإسلام ويقف عند حدوده المرعية ويعمل وينتظم في سلك العاملين به ولا يرضون عنه حولا، فهذا مسلم. والله أعلم وأحكم.

الشيخ محمد العربي الماجري رحمه الله (1894 - 1981)

بقلم: الاستاذ محمد العزيز الساحلي

هو المغفور له باذن الله العلامة الشيخ محمد العربي الماجري المربي الفاضل الفقيه المقرئ والاديب، ولد بمدينة ماطر (ولاية بنزرت) حوالي سنة 1894م/1310هـ في بيت علم وفضل، كان جده للأب وكيلًا شرعيًا، وكان خاله الشاذلي بن ضيف الله مدرسًا بالجامع الاعظم. بعدما حفظ الفقيه القرآن الكريم بمسقط رأسه وتعلم مبادئ اللغة العربية تحول الى تونس العاصمة فانخرط في سلك طلبة جامع الزيتونة المعمور وانتقل بنجاح من سنة الى اخرى من سنوات التعليم الزيتونية الى ان تحصل على شهادة التطويح ثم العالمية وشارك في المناظرات الى ان اصبح مدرسًا من الطبقة الاولى. ومن اساتذته في الجامع الاعظم المشائخ الاعلام: المصلح الشيخ محمد النخلي وشيخ الاسلام محمد مناشو. تصدر فضيلة الشيخ محمد العربي الماجري للتدريس بجامع الزيتونة، فتزاحم الطلبة عليه لانتقائه دروسه وشدة حافظته وفطرته ذكائه وقدرته على التحليل وطول نفسه وتوثيق مراجعه مع ثرائها، وتخرجت على يديه جموع من التلاميذ يذكرونه ويشكرون فضله ومن بينهم القاضي الفاضل استاذنا الجليل محمود شمام وسماحة الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة والشيخ الاديب محمد العروسي المطوي وصديقنا الاستاذ الاديب رشيد الذواوي الذي ترجم له في مجلة «في رحاب الزيتونة» العدد السابع فقال: ومن حسن حظي انني ادركته وتلمذت عليه سنة 1956 في شعبة الآداب بجامع الزيتونة في عهد المصلح الكبير محمد الطاهر ابن عاشور ويومها ادركت جوانب من شخصيته، ومما تتميز به حياته العلمية، فقد كان الرجل من اغزر من عرفتهم من الاساتذة علما ونقاء سريرة، وكان متأدبا ولطيفا مع طلبته، وفي الذروة العليا من الخلق الكريم والتواضع الجم.

هذا ويعتبر شيخنا المفضل طيب الله ثراه من اشهر دعاة اصلاح التعليم الزيتوني، فكان مساعدا للشيخ الامام محمد الطاهر ابن عاشور في برنامجه الاصلاحى الذي طالما انشده في كتابه «ليس الصبح بقريب» ورافقه في جولته التقديرية لفروع الجامعة الزيتونية بصفاقس وسوسة والقيروان وكتب التقارير والملاحظات بإشرافه، ولا تزال هذه التقارير مخطوطة محفوظة في وثائقه. كما كان الفقيه العزيز مناضلا نقابيا سعى الى انصاف مدرسي الزيتونة وتحسين احوالهم المادية والاجتماعية، وخير دليل على ذلك موقفه الشهير الذي تجلى في قيادة وفد من هؤلاء المدرسين الى الملك محمد الامين باي يوم 8 نوفمبر 1943 لتلبية مطالبهم وبعد اضراب عن الدروس تواصل عدة شهور صدر امر في افريل 1944 يقضي بتنظيم مرتبات المدرسين الزيتونيين بسائر موظفي الدولة مع منحهم حق الانخراط في صنوق التقاعد.

هذا والجدير بالملاحظة، ان الشيخ العربي الماجري كان له مجلس علمي ادبي شبه يومي بمحل صديقه وزميله الشيخ احمد الجريدي بحمام الانف وكان رواد هذا المجلس عدة مدرسين من الجامع الاعظم نخص بالذكر منهم: الشيخ محمد الهادي العلاني والشيخ الصادق الشطي والشيخ مصطفى القمودي رحمهم الله جميعا. هذا ولقد تولى شيخنا المفضل عمادة الجامعة الزيتونية اثر الاستقلال والتدريس فيها الى ان اصيحت تسمى بالكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين سنة 1961 وعين العلامة البحر الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عميدا لها.

وفي ختام هذه الترجمة الموجزة للشيخ العربي الماجري نورد شهادة في حقه من تلميذه الوفي المنعم الشيخ محمود شمام: «هو علم من اعلام الزيتونة بلا منازع، فصيح اللسان، سلس العبارة، يحسن ابلاغ المقصود، لا يمل سماعه، يتخير الفاظه، ويمزج درسه بالشواهد الشعرية. كان عالما فقيها حافظا واسع الاطلاع، امتاز بقوة الحافظة والذاكرة العجيبة، عرفته عن قرب وتلمذت له لمدة ثلاث سنوات» (انظر كتاب اعلام من الزيتونة الجزء 2، 2004)

توفي الراحل العزيز عن سن متقدمة في افريل 1981 م ووقف على قبره راثيا مؤبنا تلميذه المخلص سماحة المفتي الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة. رحمه الله رحمة واسعة ورزق اهله وذويه ومحبيه جميل الصبر والسلوان واغدق عليه شايب الرحمة والرضوان واسكنه فسيح الجنان جزاء ما قدم من صالح الاعمال.

قراءة في تجربة 20 سنة من تدبير الشأن الديني بالمغرب الشقيق

تدبير الشأن الديني في المغرب الأقصى من الملفات التي نالت عناية واهتماما كبيرين في العقدين الاخيرين (1999، 2019) وهي الفترة التي مرت على اعتلاء جلالة الملك محمد السادس سدة العرش خلفا لوالده جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله وقد تزامن هذا الاهتمام بالشأن الديني مع ماشهدهته الساحة العربية والاسلامية وحتى خارجها من احداث ومستجدات استوجبت مواكبتها بما يقتضيه الحقل الديني من اصلاحات شملت تطوير الرؤية ومراجعة التشريعات وضخ دماء جديدة مستوعبة لخصوصيات اسلام هذا الجناح من العالمين العربي والاسلامي الذي يعد المغرب الاقصى ركيزة من ركائزه الاساسية

للمغرب الاقصى خصوصيات عديدة يعتز بها المغاربة على مختلف الاصعدة الرسمية والاهلية توافقوا عليها وجعلوها من ثوابت مجتمعهم وخصائصه وبنوا عليها كل مشاريعهم وبرامجهم في طليعتها مؤسسة امارة المؤمنين ممثلة في الاسرة العلوية المنحدرة في نسبها إلى الدوحة النبوية الشريفة وهي بذلك تحظى بمكانة لدى الشعب المغربي بمختلف مكوناته العرقية في كل ارجاء اقاليمه الممتدة من الشمال على شواطئ المتوسط وبمحاذاة المحيط الاطلسي وصولا إلى تخوم بلدان افريقيا ماوراء الصحراء

وظل هذا التلاحم بين الاسرة العلوية والشعب المغربي قويا صلبا في كل المراحل وازداد متانة في مرحلة ثورة الملك (محمد الخامس رحمه الله) والشعب ضد المستعمر الفرنسي إلى ان استعاد المغرب استقلاله وانطلق في بناء دولته الحديثة العصرية المتمسكة باصالتها وخصوصياتها والتي منها مؤسسة امارة المؤمنين التي ازداد في العشرين سنة الماضية (1999، 2019) الاقتناع بها والانخراط فيها والتمسك بها من طرف الموالات والمعارضة على حد السواء خصوصا بعدما وقع اتخاذه من خطوات على يدي الملك محمد السادس من قرارات في المجال السياسي ترسيخا للديموقراطية والحرية وحقوق الانسان في اتجاه ملكية دستورية تراعي خصوصيات المغرب وعلى راسها امارة المؤمنين بما تعنيه من ناي بالشأن الديني عن كل التجاذبات الحزبية وكتجسيم لهذه الخصوصية فان الملك محمد السادس هورئيس المجلس العلمي الاعلى الذي له فروع تتكون من خيرة علماء المغرب في كل الاقاليم على المستوى الجهوي والمحلي

وهذه المجالس العلمية هي الجهة الدينية التي تشرف على النشاط الديني تاطيرا وتوجيها واقفتاء إلى جانب وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية التي تتولى الجانب الاداري التنفيذي لتدبير الشأن الديني إضافة الى مهام اخرى عديدة كما تكفلت الرابطة المحمدية للعلماء من خلال فروعها ومراكزها العلمية المختصة واصداراتها وندواتها ومؤتمراتها المتعاقبة بتكريس خصوصيات الاسلام في المغرب

وشهد الجانب الاهلي من الشأن الديني ممثلا في الزوايا والطرق الصوفية) والمغرب بلاد التصوف والزوايا والاولياء) دعما ملحوظا ماديا ومعنويا باعتباره طرفا لا يستهان به في الحفاظ على خصوصيات الاسلام في المغرب وباعتبار دوره في مواجهة موجات التطرف والارهاب التي استهدفت المغرب أكثر من مرة في السنوات الماضية

ووضع المغرب للشان الديني مدونة سلوك لايقع الحياد عنها في الخطاب الديني في كل تجلياته ومجالاته وهذه المدونة تركز على العقيدة الاشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني الجنيدي وقراءة ورش باعتبارها خصوصيات مغربية جنبت المغاربة عبر تاريخهم

المديد كل تشرذم ديني وانقسام فشعب المغرب مسلم سني اشعري مالكي جنيدي ومضى المغرب بخطى ثابتة في ترسيخ خصوصيات الشأن الديني بما توالى اتخاذه من طرف جلالة الملك محمد السادس طيلة السنوات العشرين الماضية من قرارات عززت ماكان موجودا من مؤسسات علمية ودينية عريقة ممثلة في جامعة القرويين ودار الحديث الحسنية ومعاهد التعليم الديني العتيق والدروس الحسنية الرمضانية التي وقع لتوسع في عدد المشاركين فيها ليمتد إلى كل انحاء العالمين العربي والاسلامي وحيثما وجد مسلمون في مختلف القارات وازافت إليه مؤسسات اخرى في اتجاه تكريس الاشعاع الديني للمغرب في اتجاه الدول الافريقية عموما و دول افريقيا الغربية خصوصا التي تشترك مع المغرب في خصوصيات الاشعرية والمالكية والجنيدية وذلك بتاسيس معهد محمد السادس لتكوين الائمة والمرشدين الذي يستقبل سنويا المئات من الافواج من البلدان الافريقية ليعودوا إلى بلدانهم مكونين التكوين المتين على نهج الوسطية والاعتدال والتسامح والتعايش والذي يتصدون به لما تشهده البلدان الافريقية من دعوات تطرف سنية وشيعية تتهدد استقرارها وازاف المغرب إلى ذلك بعث رابطة محمد السادس لعلماء افريقيا التي تتخذ من مدينة فاس مقرا لها ومنها تتطلق في اداء رسالتها الدينية في البلدان الافريقية ومن خلال هذين الهيكلين وبماتبته قناتا محمد السادس الاداعية والتلفزية من مادة دينية منها الكراسي العلمية التي يتولى فيها كبار علماء المغرب التدريس لمختلف فروع العلوم الشرعية تكرر القنواتان الخصوصيات الانفة الذكر (الاشعرية المالكية الجنيدية مع الالتزام برواية ورش).

يؤطر المغرب الخطاب الديني بكل ذلك وغيره مما لايتسع المجال لذكره وتعداده داخل حدوده وخارجها في البلدان الافريقية وفي صفوف الجالية المغربية في الخارج (أوروبا وغيرها..)

ذلك ايها القارئ عرض مختصر لتجربة المغرب الشقيق في تاثير الشأن الديني تابعتها في السنوات الماضية من خلال ماتهيا لي من فرص الاطلاع عليها في مناسبات مختلفة حضور الدروس السنوية الرمضانية والمشاركة في الملتقيات العلمية) اقدمه تحية للمغرب وشعبها وقيادتها لعل فيها ما يستانس به وينسج على منواله باعتبار ان المشترك بين البلدين تونس والمغرب و بين الشعبين كثير وكثير جدا .

كتبه محمد الصلاح الدين المستاوي

الملتقيات العلمية الدينية في الجزائر اليوم إمتداد لملتقيات الفكر الاسلامي بالامس

شهدت الجزائر في الفترة الاخيرة انعقاد عديد الملتقيات وقد اعتادت على تنظيم هذه الملتقيات في الجزائر اغلب الولايات على امتداد التراب الجزائري شمالا وجنوبا وشرقا وغربا

تنظم هذه الملتقيات مديريات الشؤون الدينية بالتعاون مع الجامعات والهيئات الدينية كالمجلس الاسلامي الاعلى (الذي يعقد ندوات دولية سنوية) وجمعية العلماء الجزائريين والزوايا العريقة والتي لها الفضل الكبير في تخريج الاف الحفاظ للقران الكريم المكونين تكوينا شرعيا متينا وهي منتشرة في كل ارجاء الجزائر

ولاتزال هذه الزوايا تقوم بهذا الدور خصوصا في مناطق الجنوب في اعماق الصحراء برعاية شيوخ يتصل بهم السند العلمي المبارك يحفظ لهم ذلك الدور الرائد كل المخلصين المنصفين من ابناء الجزائر في مختلف مواقعهم ومسؤولياتهم

فخريجوا هذه الزوايا هم من حافظوا على الاسلام والعربية في الامس البعيد ايام كانت الجزائر ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي شن حملة لاهوادة فيها على كل مظاهر الهوية الجزائرية المتمثلة بالخصوص في العربية والاسلام

اغلق الاستعمار المساجد ومنع تشييدها ومنع فتح المدارس العربية الاسلامية في خطة خبيثة للتجهيل وحتى التصير وقد خطا في ذلك خطوات ولكن الشعب الجزائري بعلمائه ومصليحه وقادته الوطنيين افسد هذا المخطط ووقف في وجهه يدفع الغالي والنفيس فقد وقع تاسيس الزوايا في المدن والقرى وفي الارياف وفي اعماق الصحراء وتخرجت من الزوايا جحافل ا لحفاظ للقران الكريم الذين يجمعون إلى القران مختلف العلوم الشرعية التي تفرغوا لتحصيلها على ايدي علماء اعلام رباينيين مخلصين لم يبتغوا من وراء عملهم جزاء ولا شكورا يصدق فيهم قوله سبحانه وتعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)

واصلت الزوايا اداء هذه الرسالة النبيلة بعد نيل الجزائر لاستقلالها فكانت هذه الزوايا روافد للكلية الشرعية التي تاسست في مختلف الجامعات الجزائرية وفي جامعة الامير عبد القادر بمدينة قسنطينة

وعندما مرت الجزائر بالعشرية السوداء- لاعاها الله -والتي شهدت سقوط مئات الشهداء كان خريجوا الزوايا القرانية هم من سدوا الفراغ وواجهوا التطرف والارهاب من خلال توليهم للخطط الدينية في مساجد وجوامع الجزائر وهي بالالاف كائمة خطابة وائمة خمس ومرشدين ومعلمي قران وهم الذين حافظوا على الخصوصيات الدينية للشعب الجزائري السنية الاشعرية المالكية الجنبدية وهوالتصوف السني (التربية الروحية عن طريق الشيوخ للوصول إلى مرتبة الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) ذلك دور قامت ولاتزال تقوم به الزوايا في الجزائر على احسن الوجوه واتمها

اضافت إليه في السنوات الاخيرة ادوارا اخرى منها هذه الملتقيات والندوات التي ما تنفك تعقدتها على امتداد السنة تعاضد بها جهود وزارة الشؤون الدينية والاقواف من خلال مديرياتها على مستوى كل الولايات تقريبا والتي تعد امتدادا لملتقيات الفكر الاسلامي التي ظلت الجزائر تعقدتها طيلة سنوات طويلة تنتقل بها وزارة الشؤون الدينية إلى كل ولايات الجزائر على امتداد ترابها الشاسع وكانت بحق جامعات صيفية تمتد لاكثر من اسبوع يشارك فيها طلاب جامعات الجزائر ومثقفوها وإعلاميوها ويدعى إليها كبار العلماء والمفكرين والمستشرقين من العالمين العربي والاسلامي ومن بقية دول العالم وتحرص وزارة الشؤون الدينية على توثيق هذه الملتقيات بالصوت والصورة فضلا عن نشرها في اسفار هي اليوم تحتل مكانها في المكتبات العامة والخاصة وفي الجامعات وقد تدارست ملتقيات الفكر الاسلامي مختلف مناحي الثقافة الاسلامية ومجالات الحضارة الاسلامية وكذلك قضايا العصر وتحدياته وقد اشرف على هذه الملتقيات وتابع كل مراحلها وزراء بررة نذكر منهم الاساتذة مولود قاسم وبوعلام باقي وعبد الرحمان شيبان رحمهم الله وسعيد شيبان وغيره وكان لكل من المفكر الجزائري الكبير الاستاذ مالك بن نبي وتلميذه الاستاذ عبد الوهاب حمودة رحمهما الله دور كبير في بعث ملتقيات الفكر الاسلامي التي بدأت متواضعة ثم ما لبثت ان تطورت وتوسعت وازدهرت وقد تهيأت لي فرص الحضور والمشاركة في هذه الملتقيات وكان اخر ملتقى حضرته ملتقى مدينة تبسة في بداية تسعينات القرن الماضي وعلى اثر ذلك دخلت الجزائر في العشرية السوداء- لاعادها الله -وتوقفت بذلك ملتقيات الفكر الاسلامي وقد شارك في ملتقيات الفكر الاسلامي من قبلي فضيلة الشيخ الوالد الحبيب المستاوي رحمه الله إلى جانب ثلة من اخوانه شيوخ الزيتونة نذكر منهم محمد الشاذلي النيفر ومحمد الحبيب بلخوجة ومحمد الشاذلي بلقاضي ومحمد المختار بن محمود والصادق بسيس والتهامي نقرة ومحي الدين قادي و الاساتذة صلاح الدين كشريد والبشير التركي وعثمان الكعك ومحمد السويسي رحمهم الله واساتذة اخرين نذكر منهم الحبيب الجنحاني وعبد الجليل التميمي وجمعة شيحة والمنجي الكعبي وعلي الشابي وهشام بن محمود وغيرهم وكان وزراء الشؤون الدينية في الجزائر على تداولهم يحرصون على دعوة شيوخ تونس واساتذتها وفاء منهم لتونس وللزيتونة التي درسوا فيها وللشعب التونسي وقد وثقت مجلة جوهر الاسلام في اعداد خاصة اعمال هذه الملتقيات وعمت الافادة بها وانعقاد الملتقيات الدينية في الجزائر في هذه المرحلة هو امتداد لملتقيات الفكر الاسلامي ولكن بصيغة اخرى يتم بتكامل مع الزوايا والجامعات وبقية مكونات المجتمع المدني وتكاد كل ولاية من ولايات الجزائر نتختص في موضوع من مواضيع الثقافة العربية الاسلامية في مواكبة لمشاغل المجتمع الذي يعيش على امتداد البلاد العربية والاسلامية مشكلات توشك ان تاتي على ما عرف به من تماسك ووسطية واعتدال وتسامح ببروز ظاهرة التطرف والارهاب لذلك فان اغلب محاور هذه الملتقيات تسعى إلى تركيز قيم الوسطية والاعتدال ونبذ كل مظاهر الغلو في الدين مع التأكيد على الادوار الايجابية التي قامت بها المؤسسات العلمية والمدنية (مدارس وزوايا وغيرها) في الحفاظ على خصوصيات المجتمع الجزائري وفي هذا الاطار استجبت شاكرا في السنوات الماضية وفي هذه السنة

لدعوات تلقيتها من وزارة الشؤون الدينية والاقواف في الجزائر ممثلة في مديريات الشؤون الدينية بغليزان (لمرتين) ومستغانم (لمرتين) وتسمسيت بالغرب الجزائري والبليدة (قريبا من العاصمة) والى اتحاد الزوايا الجزائرية وزاوية الامام علي بن ابي طالب حي العرب عين صالح (ولاية تمنرست في اقصى الجنوب الجزائري) في ملتقاها الدولي الأول والثاني والذين تزامنا مع الذكرى الحادية عشرة والثانية عشرة لوفاة المغفور له الشيخ محمد بن عبد الرحمان الزاوي وكان موضوع ملتقى هذا العام تحت عنوان الامن الفكري ودوره في الحفاظ على ثوابت المجتمع ويقترن هذا الملقى مع الاحتفال السنوي بتكريم حفاظ القران الذين يجتمعون في جامع الزاوية اثر صلاة العصر في تلاوة جماعية من طرف جمع كبير من الحفاظ (بالعشرات) يقرؤون من حفظهم عن ظهر قلب إلى منتصف الليل ليستأنفوا القراءة من الغد إلى الختم الذي يتوج بتكريم الحفاظ الجدد في حفل بهيج يشارك فيه الكبار والصغار وكل اهل عين صالح حيث يطعمون الطعام ويكرمون الضيوف في سنة حميدة دائمة ومتواصلة لانها لله وماكان لله دام واتصل وبفضل الهمة العالية لرجال بررة على راسهم الحاج عبد الرحمان الزاوي شيخ زاوية علي بن ابي طالب بعين صالح في ملتقى عين صالح وكذلك في البليدة في الملتقى الذي دعاني إليه الصديق الاستاذ كمال بالعسل مد ير الشؤون الدينية للمشاركة فيه حول الاعجاز القراني واثره في ترقية الخطاب الديني كان لي إلى جانب ذلك القاء دروس واجراء حوارات اذاعية وتلفزية تمحورت كلها حول خصائص السماحة والوسطية والاعتدال والاجتهاد والتجديد في الاسلام وكيفية النهوض بالخطاب الديني

كان في الحسبان العودة إلى الجزائر للمشاركة في كل من ملتقى غليزان السنوي وملتقى المجلس الاسلامي الاعلى ولكن ظهور جرثومة الكورونا المعدية -عافانا الله منها- حال دون ذلك فقد وقع تاجيلهما إلى موعد لاحق مثلما وقع تاجيل كل من الملتقى الدولي حول التصوف المغربي وامتداده الافريقي في مدينة شفشاون بالمغرب واللقاء السنوي (على شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم) الذي كان سينعقد للعام الثاني على التوالي في معهد العالم العربي بباريس و الذي ينظمه معهد الامام الاشعري الذي يديره الاستاذ الفرنسي عبد الله بنو في مبادرة اخذت صدى كبيرا وهي امتداد لتظاهرات انطلقت قبل سنوات بمبادرة من جمعيات وزوايا وطرق صوفية ومساجد عديد في منطقة بارييس الكبرى واحتضنتها مدينة سفران وتولى ترتيبها السيد الفاضل البكاي مرزاق وكان لي شرف المشاركة فيها منذ انطلاقتها وهي كرد فعل عملي على حملات الاساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لدى ظهور الرسوم الكاريكاتورية) ولاقت هذه الاحتفاليات ترحيبا واقبالا كبيرين من طرف الاسر والعائلات المسلمة التي حرصت على الحضور مصحوبة باطفالها من مختلف الاعمار في تعبير تلقائي وفاض عن حبا وتعلقها برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان التتويج لتلك الاحتفالات بهذا اللقاء بمعهد العالم العربي على شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي ندعو الله تبارك وتعالى ان يتهيا انعقاده وانعقاد بقية التظاهرات الدينية التي اجلت بعد انجلاء غمة الكورونا والتغلب عليها في القريب العاجل إن شاء الله انه سبحانه وتعالى القادر على ذلك.

كتبه محمد صلاح الدين المستاوي

أعلام من التاريخ: مكي بن أبي طالب القيرواني إمام القرآن والتجويد والتفسير

(المتوفى سنة 437 هـ = 1045 م)

بقلم الشيخ صالح العُود

خَدَمَ هَذَا الْعَلَمُ الْفَجَلَ (الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ) ، كَمَا قَضَى مَعْظَمَ حَيَاتِهِ فِي الْإِقْرَاءِ ، وَتَعْلِيمِ الْعِلْمِ ، بِمَا يَزِيدُ عَلَى نِصْفِ قَرْنٍ : فِي الْكُتَاتِيْبِ وَحَلَقَاتِ الْمَسَاجِدِ ، وَالرَّحَلَاتِ ؛ وَتَأْلِيْفًا فِي أَحْكَامِهِ وَقَوَاعِدِهِ وَرَسُوْمِهِ ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِعِلْمِ (التَّجْوِيْدِ) ، وَأَخِيْرًا : فَسَّرَهُ لِلْخَاصَّةِ : مِنَ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبْتِهِ الْعِلْمِ ، وَلِلْعَامَّةِ فِي دُرُوسِ هَامَّةٍ ، إِلَى أَنْ أُنْتَهَى بِهِ الْمَطَافَ إِلَى وَضْعِ مُؤَلَّفٍ نَفِيْسٍ فِيهِ ، يَقَعُ فِي سَبْعِيْنِ جِزْءًا ، سَمَّاهُ : (الْهَدَايَةَ إِلَى بُلُوْغِ النِّهَايَةِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَتَفْسِيْرِهِ) .

وَفِي هَذَا الشَّأْنِ يَقُولُ الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ حَسَنُ فَرِحَاتٍ فِي التَّقْدِيْمِ الْكُتَابِ (الرَّعَايَةُ / ص 6) : « اشتهر مكي بكثرة التأليف، والتفنن فيه، وقد أُرْبِتْ مؤلفاته على التسعين، وأغلبه في التفسير، وعلوم القرآن، والعربية ». - وُلِدَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَدِيْنَةِ الْقَيْرُوَانِ سَنَةَ (355 هـ = 965 م) ، وَتُوِّفَ بِقَرْطَبَةِ سَنَةِ سَنَةِ (437 هـ = 1045 م) عَنْ اثْنِيْنِ وَثَمَانِيْنِ عَامًا ، قَضَاهَا فِي طَلْبِ الْعِلْمِ عَنِ الشُّيُوْخِ الْأَبْرَارِ ، ثُمَّ انْتَهَى بِالتَّفَرُّعِ فِي خِدْمَتِهِ وَنَشْرِهِ فِي الْأَفَاقِ .

- مِنْ شِيُوْخِهِ الْأَعْلَامُ فِي مَسْقَطِ رَأْسِهِ : الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَيْدِ الْقَيْرُوَانِيِّ (صَاحِبُ الرِّسَالَةِ الْفَقْهِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ) ؛ وَالْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ (الْحَافِظُ وَالْفَقِيْهِ وَالْأَصُوْلِيُّ) ؛ وَالْإِمَامُ الْقُرَازُ (الْأَدِيْبُ الشَّهِيرُ وَاللُّغَوِيُّ الشَّاعِرُ) .

- لَمَّا شَبَّ ، اشْتَقَ إِلَى الْمَزِيْدِ مِنَ الْعِلْمِ وَالطَّلْبِ ، وَالْأَخَذَ عَنِ مَشَاهِيْدِ عُلَمَاءِ الْعَصْرِ ، فَشَدَّ الرَّجْلَ أَوَّلًا إِلَى مِصْرَ فَالْحِجَازَ ؛ ثُمَّ تَوَجَّهَ ثَانِيًا إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَبِهَا اسْتَقَرَّ إِلَى أَنْ مَاتَ بِأَرْضِهَا مَهَاجِرًا . يَقُولُ الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ حَسَنُ فَرِحَاتٍ : « إِنْ مَجْمُوعُ مَا قَضَاهُ فِي مِصْرَ عَشْرَ سَنَوَاتٍ : مِنْ سَنَةِ (367 هـ = 977 م) إِلَى سَنَةِ (374 هـ = 984 م) ، ثُمَّ تَرَدَّدَ إِلَيْهِ فِي فِتْرَاتٍ أُخْرَى مَدَّةَ (ثَلَاثِ) سَنَوَاتٍ .

وَإِنْ مَجْمُوعُ مَا قَضَاهُ فِي الْحِجَازِ : (أَرْبَعِ) سَنَوَاتٍ ، إِحْدَاهَا فِي سَنَةِ (377 هـ = 987 م) ، حَيْثُ حَجَّ حَجَّةَ الْفَرِيضَةِ . وَإِنْ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ قَدْ قَضَاهَا فِي قَرْطَبَةِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ عَامِ (393 هـ = 1002 م) إِلَى عَامِ (437 هـ = 1045 م) ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي تُوِّفِيَ فِيهَا .

- تَفَرَّغَ الْإِمَامُ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى إِقْرَاءِ الْقُرْآنِ ، نَشْرَ عِلْمِهِ : (تَدْرِيسًا وَتَصْنِيْفًا) ، بَعْدَ أَنْ حَطَّ رِحَالَهُ الْأَخِيْرَ وَالِدَائِمَ بِمَدِيْنَةِ قَرْطَبَةِ الشَّهِيْرَةِ - وَالَّتِي كَانَتْ لَا تَغِيْبُ عِنْدَ شَمْسِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ - ، وَفِيهَا أَخْرَجَ عِصَارَةَ عِلْمِهِ لِلنَّاسِ .

- يَعْتَبَرُ هَذَا الْإِمَامُ : « مَقْرَنًا » جَلِيْلًا فِي « الْإِقْرَاءِ » وَمِنْ طَرَازِ فَرِيْدٍ لَمْ يُسْبِقْ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ بِتَأْلِيْفِهِ كُتَابِهِ الشَّهِيرِ : (الرَّعَايَةُ لِتَجْوِيْدِ الْقِرَاءَةِ وَتَحْقِيْقِ لَفْظِ التَّلَاوَةِ) ، وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنِ هَذِهِ الْبَيَادِرَةِ فِي الْمَقْدِمَةِ فَقَالَ : « ... لَمْ أَجِدْ مُعِيْنًا فِيهِ مِنْ مُؤَلَّفٍ سَبَقَنِي بِمَثَلِهِ قَبْلِي ، ثُمَّ قَوِيَ اللَّهُ النِّيَّةَ ، وَحَدَّدَ الْبَصِيْرَةَ فِي إِتْمَامِهِ بَعْدَ لِحْوٍ مِنْ (ثَلَاثِيْنِ) سَنَةٍ ، فَسَهَّلَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ ، وَبَسَّرَ جَمْعَهُ ، وَأَعَانَ عَلَى تَأْلِيْفِهِ » .

- تَرَكَ مَا يَرِيْبُو عَلَى « تِسْعِيْنِ » كُتَابًا مِنَ التَّأْلِيْفِ الْمَفِيْدَةِ ، جَاءَ أَكْثَرُهَا فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ الْمَجِيْدِ ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا : الْهَدَايَةُ إِلَى بُلُوْغِ النِّهَايَةِ / التَّبَصُّرَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ / الْمَثَاوِرُ عَنِ مَالِكٍ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيْرِهِ / اخْتِصَارُ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ / الْإِيْضَاحُ لِنَاسِخِ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوْخِهِ / وَغَيْرِهَا .

- (مناقبة) : كَانَ سَلْفِيَّ الْعَقِيْدَةِ ، مَالِكِيَّ الْمَذْهَبِ ، إِمَامًا فِي الْقُرْآنِ وَعِلْمِهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، بَلْ هُوَ « خَاتِمَةُ أُمَّةِ الْقُرْآنِ بِالْأَنْدَلُسِ » ؛ كَانَ دَيِّنًا ، تَقِيًّا ، صَوَامًا قَوَامًا ، مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَتَحْفَظَ لَهُ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْكِرَامَاتِ .

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

يسألونك قل

من يرد الله به خيراً يفقره في الدين

كيفية صلاة العاجز

بقلم : الشيخ محمد الحبيب النفطي

السؤال: يقول السائل الكريم: هل تجوز الصلاة فوق بنك او سرير لمن كان عاجزاً عن الجلوس فوق الارض؟

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم ان الصلاة فوق بنك او سرير او غيرها لمن كان عاجزاً عن الجلوس فوق الارض جائزة وصحيحة بشرط ان يومتى للركوع والسجود ويكون الایماء للسجود اخفض (او طأ) من الایماء للركوع ولا يجوز له ان يسجد على مخدة او غيرها بل يجب عليه ان يكتفي بالایماء بالسجود من غير ان يسجد على شيء ما .

جواز امامة من به عرج او قطع يد او رجل

السؤال: هل تصح امامة من كانت له ساق صناعية مع العلم انه قادر على اداء اركان الصلاة من قيام وركوع وجلوس؟

الجواب: الاولى للامام الذي به عرج او شلل او قطع اليد او الرجل ان لا يصلي بالناس اماماً لكن ان كان قادراً على القيام بكل اركان الصلاة من قيام وركوع وسجود وجلوس وكان هذا الامام الذي ذكرته في سؤالك اماماً راتباً قد نصبه اماماً من ترجع له تسمية الائمة فامامته صحيحة في مذهبنا المالكي

جواز قراءة القرآن من غير وضوء من غير المصحف

السؤال: هل قراءة القرآن الكريم بدون وضوء اصغر جائزة ام لا لمن هو قادر على الوضوء؟
الجواب: اعلم ايها السائل الكريم ان قراءة القرآن الكريم بغير وضوء اصغر جائزة اذا كانت القراءة عن ظهر قلب اي من حفظ الانسان اما قراءة القرآن الكريم من المصحف الشريف على غير وضوء اصغر فانها لا تجوز لقوله تعالى (وانه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون) الاية 79 من سورة الواقعة ولقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه لعمر بن حزم الا يمسه القرآن الا ظاهراً رواه الامام مالك في كتاب الموطأ ج 1 ص 199 والله الموفق

الجنة التي اعدت للمتقين هي للمسلمين ولمن كان من اليهود والنصارى (ممن لم يبدلوا ولم يغيروا) وذلك قبل البعثة

السؤال: ارجو توضيح قوله تعالى «وجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين» الاية 123 من سورة ال عمران وهل ان اليهود والنصارى داخلون في الوعد الذي تضمنته الاية الكريمة ام لا؟

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم ان وعد الله في الاية 123 من سورة ال عمران بادخال المتقين جنة عرضها السماوات والارض اعدت لهم هي خاصة بامة محمد صلى الله عليه وسلم اما اليهود والنصارى فلا يشملهم هذا الوعد اللهم الا من مات من

اليهود والنصارى قبل بعثة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ولم يغيروا ويبدلوا ما انزل اليهم من التوراة والانجيل وكانوا من المتقين والله اعلم
ارواح العباد بعد موتهم في البرزخ

السؤال: اذا مات الانسان وانتقلت روحه الى عالم الارواح فهل تتنعم روحه وتشعر وتحس ام لا ؟

الجواب: اذا مات الانسان انتقلت روحه الى عالم الارواح اما في عليين او في سجين فعليون مقام ارواح السعداء من عباد الله تعالى وسجين مقام ارواح الاشقياء من عباد الله تعالى وذلك بنص القرآن الكريم حيث قال تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الابرار) (الاسرة) ينظرون) الاية 18-19 من سورة المطففين وقال جل ذكره في بيان مقام الاشقياء (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين) الاية 7-8-9 من سورة المطففين ايضا وعليه ايها السائل الكريم فان ارواح الاموات قبل يوم القيامة هي فيما يسمى بالبرزخ وهو المدة الفاصلة بين موت الانسان ويوم القيامة تكون فيها روح الميت اما منعمة نعيما معنويا او معذبة عذابا معنويا قال تعالى في حق فرعون واله (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب) الاية 46 من سورة غافر معنى اية (ان الله لا يغفر ان يشرك به...)

السؤال: ما هو تفسير قوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الاية 47 من سورة النساء

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم ان الله تعالى قد اعلم عباده بانه لا يغفر ذنب الشرك به سواء كان في الوهيته (عبادته) او في ربوبيته بان يعتقد الانسان ان مع الله شريكا ينفع ويضر ويمنع ويمنع فالله هو المعبود بحق مستحق لان يعبد دون سواه والله هو النافع الضار دون غيره فمن عبد مع الله غيره او اعتقد ان هناك من ينفع او يضر معه مشرك وهذا الشرك لا يغفره الله ابدا وما دون ذلك من الذنوب والمعاصي فالله سبحانه حلیم كريم يغفر لمن يشاء تفضلا منه واحسانا هذا هو معنى الاية الكريمة التي ذكرتها في سؤالك ايها السائل الكريم والله اعلم

حسن الخاتمة لا يعلمها الا الله

السؤال: هل ان العمل الصالح قبل الموت دليل على حسن الخاتمة؟ ارجو منك فضيلة الشيخ افادتنا .

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم ان حسن الخاتمة بيقين لا يعلمه الا الله الذي بيده ملكوت كل شيء فلا العمل الصالح قبل الموت يدل عليه ولا غيره من العمل السيء ولكن ورد حديث نبوي يستأنس به في هذه المسألة قال صلى الله عليه وسلم (اذا اراد الله بعبده خيرا استعمله قبل موته قالوا وكيف يستعمله؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل موته ثم يقبضه عليه) اخرجه الامام احمد والطبراني والله الموفق

بيان هدي الاسلام في التوقي من وباء الكورونا

الحفاظ على الابدان إحدى الكليات الخمس التي راعتها الشرائع السماوية و التي هي (الحفاظ على الاديان والابدان والعقول والاعراض والاموال)

وإذا تعارضت هذه الكليات فان المحافظة على الابدان تقدم على المحافظة على الاديان وذلك ماتدعو له وتامر به نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية ومنها قوله جل من قائل (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وتحت هذه الآية تتدرج كل التيسيرات وكل مظاهر رفع الحرج مصداقا لقوله جل من قائل (ما جعل عليكم في الدين من حرج)ومن هذين النصين وغيرهما استنبط العلماء عديد القواعد التي منها (الضرورات تبيح المحظورات) والضرورة بالطبع تقدر بقدرها

وقد انبنى هدي الاسلام على درء المفسدة وجلب المصلحة وحيثما وجدت المصلحة فتم شرع الله سواء اعتبرت هذه المصلحة أم لم تعتبر اي وجدنا لها نصا شرعيا(قرانا اوسنة) أم لم نجد اذالنصوص متناهية ومصالح الناس متجددة ومن هنا جاء اصل من اصول التشريع يسمى (المصلحة المرسله) اي المصلحة المسكوت عنها ولكن تقتضيها حياة الناس بشرط أن تكون مصلحة حقيقية وليست مصلحة وهمية اتباع الهوى فيها واضح جلي

ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة والقاعدة في هذا السياق هي (الضرر يزال) و(لا ضرر ولا ضرار)

وهدي الاسلام في التوقي من الافات والابوءة التي تتهدد صحة الانسان ومنها الكورونا مبنية على الاخذ بالاسباب والتي في طليعتها الوقاية والوقاية خير من العلاج فالعلاج قد يفيد وقد لا يفيد بينما الوقاية هي دائما ضمن للحفاظ على سلامة الاجسام وصحتها وعافيتها باعتبار ان الاجسام والابدان امانات ينبغي الحفاظ عليها وضمان سلامتها باجتتاب كل مايضر بها من مختلف التصرفات التي ياتيها صاحب الجسد(مأكلا ومشربا وسلوكا). ولا يجوز في الاسلام الالتقاء بالنفس إلى التهلكة ومثلما انه على المسلم حقا لربه وحقا لاهله فان لنفسه عليه حقا وهو حق الحفاظ على صحة وسلامة هذا الجسد حتى يستطيع به مواصلة اداء مختلف الحقوق عليه (حق الله وحق النفس وحق الاهل وحق الاخرين عليه)

ولايتسنى له ذلك إلا إذا كان جسده سليما معافى وهي نعمة عظيمة الشأن لا يدرك قيمتها إلا من فقدوها فالصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يبيصره إلا المرضى وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمة الصحة والعافية في الكثير من الأحاديث فقال (من اصبح معافى في بدنه امانا في سربه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها) وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم امته بان تسال الله العفو والعافية ودوام العافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والاخرة وعلمها أن يتذكر المعافون دائما مايتعمون به من صحة جسدية يفقدها غيرهم فيحمدون الله وتردد السننهم (الحمد

لله الذي عافانا مما ابتلاهم به)

ولم تكتف تعاليم الاسلام بذلك بل ارشدت المسلم إلى كل ما فيه سلامة ابدانهم من نظافة جعلها الاسلام لاتتم بعض الواجبات الدينية إلا بها (الصلاة)-حيث يقول عليه الصلاة والسلام (الطهور شطر الايمان) اي شطر الصلاة ودعا الاسلام إلى كل ما من شأنه أن يحافظ على النظافة وسلامة البيئة والمحيط (ماء وهواء وطريقا ومرافق عامة....)واماطة الاذى من الطريق من شعب الايمان والنظافة من الايمان وضدها الاوساخ من الشيطان عدو الانسان فذلك وسواه من وسائل الوقاية وندرج في هذا الاطار كل ما حرمه الاسلام من الخبائث والتي اثبت الطب والعلم والتجربة تطابقها مع قواعد السلامة والصحة فإذا حصل المرض وهو وارد فان الاسلام دعا المسلم إلى الاخذ بالاسباب والتداوي ولايتعارض ذلك مع الايمان بالقدر فالقدر علم الله والاخذ بالاسباب واجب والشفاء من عند الله وبإذنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الله خلق الداء وخلق الدواء) وفي مسند

الإمام احمد جاءت الاعراب فقالوا يارسول الله انتداوى قال رسول الله نعم فان الله عزوجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء)

فإذا وقع وباء في ارض ارشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وجوب التوقي منه والاحتياط من عدواه وعدم التسبب فيها للنفس وللآخرين وهو مايسمى اليوم بالحجر الصحي الذي تلزم به الدول مواطنيها وتتخذ في مجاله كل التدابير التي تجعل ذلك الوباء لاينتشر وتذهب ضحية له عشرات بل مئات الانفس البشرية جراء عدم الانضباط والتقييد بالتعليمات الصادرة في هذا الصدد وهي من صميم صلاحيات ولاة الامور يقول عليه الصلاة والسلام (لايوردن ممرض على مصح) صحيح البخاري والممرض هو الذي ابله مراض والمصح الذي ابله صحاح اي لا يورد عليه لا يخلط ابله المريضة الجرباء بالصحيحة اثناء ورود الماء وهذا بالنسبة للابل تلافيا لانتشار العدوى فمابالك إذا تعلق الامر بالانسان فذلك الزم واوجب فالمتسبب في قتل نفس واحدة هو كمن قتل الناس جميعا

فليحذر المخالفون لامر الله المتسببون في الضرر لانفسهم وغيرهم ويقول عليه الصلاة والسلام (إذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه) وفي ذلك حصر للوباء

هذا هو هدي ديننا الذي يدعونا إلى ما يحيينا في سلامة وصحة وعافية وهو ماينبغي أن نسترشد به ونتقيد به في كل تصرفاتنا عندما نبثلى بافة مثل الكورونا سائلين الله العلي القدير أن يشفينا ويعافينا ويديم ذلك علينا وعلى غيرنا انه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

كتبه محمد صلاح الدين المستاوي

مجمع الفقه الاسلامي الدولي بجدة:

توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام بفنون: «فيروس كورونا المستجد (كوفيد - 19) وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتمهم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

ف نظرًا لزيادة عدد الإصابات والوفيات نتيجة تفشي جائحة الكورونا يوماً بعد يوم في كل أنحاء العالم، وبناءً على انتشار هذا المرض عقد مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام بعنوان: "فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية" بواسطة الفيديو عن بُعد بتاريخ 23 شعبان 1441هـ، الموافق 16 أبريل 2020م، وتحدث خلال الندوة معالي الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي الأستاذ الدكتور يوسف العثيمين، مبيناً أن الندوة تتيح فرصة للتوفيق بين آراء العلماء في ميادين الطب والشرعية بغية صياغة موقف متناغم يساهم في دعم مشروع صنّاع القرار في الدول الأعضاء نظراً لأن جائحة كورونا تهدد البشرية دون فرق بين لون أو جنس أو معتقد.

وألقى معالي الدكتور صالح بن حميد، المستشار بالديوان الملكي السعودي، رئيس المجمع، كلمة تحدث فيها عن أهمية دور مجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي تولى تركيز القواعد الفقهية الطبية منذ نشأته، والتصدي إلى المسائل الحادثة المستجدة ومن بينها المسائل الشرعية المتعلقة بفيروس كورونا المستجد على ضوء الأحكام الطبية، كما ألقى معالي أمين مجمع الفقه الإسلامي الدولي الأستاذ الدكتور عبدالسلام العبادي كلمة بين فيها مسار الندوة، ومن ثم تولى معالي رئيس المجمع إدارة الندوة، التي حضرها أعضاء مجلس المجمع وعدد من الأطباء المختصين والعلماء الشرعيين، وبعد مداخلات ثرية جرت مناقشتها من الوجهتين الطبية والشرعية، وبعد الاستماع للمشاركين من الأطباء والفقهاء ومن خلال البحوث والعروض التي قدموها، التي ستذكر أسماءهم في نهاية هذه التوصيات، وقد استمرت الندوة من الساعة الحادية عشرة صباحاً حتى الساعة الثانية والنصف ظهراً متضمنة استراحة لصلاة الظهر من الساعة الواحدة إلى الواحدة والنصف، وقد توصلت الندوة إلى تشكيل لجنة صياغة للتوصيات التي ستخرج بها وستذكر أسماء هذه اللجنة في نهاية هذه التوصيات.

وقد انتهى المشاركون إلى هذه التوصيات التالية وهي تشمل البعدين الطبي والفقه:

التعريف بالمرض: مرض الفيروس التاجي 2019 المعروف اختصاراً بكوفيد 19 هو التهاب في الجهاز التنفسي بسبب فيروس تاجي جديد، وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية رسمياً أن هذا الوباء جائحة عالمية في 11 مارس 2020م، ويظن أن الفيروس حيواني المنشأ في الأصل، ولكن الحيوان الخازن غير معروف حتى الآن بشكل مؤكد وهناك شبهات حول الخفاش وأكل النمل، وأما انتقاله من إنسان لآخر فقد ثبت أنه واسع الانتشار. وتتراوح العدوى بين حامل الفيروس من دون أعراض إلى أعراض شديدة. تشمل الحمى والسعال وضيق التنفس (في

الحالات المتوسطة إلى الشديدة)؛ قد يتطور المرض خلال أسبوع أو أكثر من معتدل إلى حاد. ونسبة كبيرة من الحالات المرضية تحتاج إلى عناية سريرية مركزة؛ ومعدل الوفيات بين الحالات المشخصة بشكل عام حوالي 2% إلى 3% ولكنها تختلف حسب البلد وشدة الحالة. ولا يوجد لقاح متاح لمنع هذه العدوى. وتبقى تدابير مكافحة العدوى هي الدعامة الأساسية للوقاية (أي غسل اليد وكظم السعال، والتباعد الجسدي للذين يعتقدون بالمرضى بالإضافة إلى ما يسمى بالتباعد الاجتماعي بين الناس)، والمعرفة بهذا المرض غير مكتملة وتتطور مع الوقت؛ علاوة على ذلك، فمن المعروف أن الفيروسات التاجية تتحول وتتجمع في كثير من الأحيان، وهذا يمثل تحدياً مستمراً لفهم المرض وكيفية مواجهته.

ومن المعلوم أن الشريعة الإسلامية وأحكامها تمتاز بصفات عديدة من أهمها: رفع الحرج والسماحة والتيسير ودفع المشقة وقلة التكاليف، وإذا وجد ما يشق فعله ووصل الأمر إلى درجة الحاجة أو الضرورة، فقد شرع الله تعالى رخصاً لتبيح للمكلفين ما حرم عليهم، وتسقط عنهم ما وجب عليهم فعله حتى تزول الضرورة، وذلك رحمة من الله بعباده وتفضلاً وكرماً، ففي الفقه الإسلامي قواعد فقهية مهمة حاکمة في مثل هذا، من أهمها: قاعدة رفع الحرج والسماحة، وقاعدة المشقة تجلب التيسير، وإذا ضاق الأمر اتسع، وقاعدة الأخذ بالرخص أولى من العزيمة حفظاً للنفوس، وقاعدة لا ضرر ولا ضرار، وقاعدة التصرف على الرعية منوط بالمصلحة، وقاعدة للإمام تقييد المباح في حدود اختصاصه مراعاة للمصلحة العامة.

لذلك كان هنالك ضرورة لحماية النفس وصحة الإنسان فيجب على المسلمين أن يحافظوا على أنفسهم بقدر المستطاع من الأمراض، وقد أوجبت الشريعة الإسلامية إنقاذ الأرواح والأنفس من الهلاك، وجعلت إنقاذ النفس حقاً لكل فرد، بالوقاية من الأمراض والأسقام قبل حدوثها وبالتداوي بعد حدوثها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (عباد الله! تداووا، فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له الدواء إلا داءً واحداً الهرم). [في روايات متقاربة عند البخاري ومسلم وأحمد وأبي داود والترمذي والنسائي والبيهقي]، إذ إن الحفاظ على النفس البشرية من مقاصد الشريعة الأساسية والتي تشمل بالإضافة إلى حفظ النفس: حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، قال سبحانه وتعالى: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) [سورة المائدة، 32]، كما يحق لجهات الاختصاص، القيام بإسعافات وتدخلات طبية خاصة بالجائحة، ذلك أن "مما تقتضيه عقيدة المسلم أن المرض والشفاء بيد الله عز وجل، وأن التداوي والعلاج أخذ بالأسباب التي أودعها الله تعالى في الكون وأنه لا يجوز اليأس من روح الله أو القنوط من رحمته، بل ينبغي بقاء الأمل في الشفاء بإذن الله. انظر: قرار المجمع رقم: 67 (7/5) بشأن العلاج الطبي، في دورته السابعة التي عقدت في مدينة جدة بالملكة العربية السعودية، لذلك ليس في الإسلام ما يسمى بمناعة القطيع أو الجمهور، والذي يدعو لترك انتشار المرض أولاً والذي سيهلك به الذين يستحقون الهلاك من كبار سن ومن الذين تعددت أمراضهم، لأن في ذلك تقاعساً عن المعالجة الممكنة شرعاً.

يجوز للدول والحكومات فرض التقييدات على الحرية الفردية بما يحقق المصلحة سواء من حيث منع الدخول إلى المدن والخروج منها، وحظر التجول أو الحجز على أحياء محددة، أو المنع من السفر، أو المنع من التعامل بالنقود الورقية والمعدنية وفرض الإجراءات اللازمة للتعامل بها، وتعليق الأعمال والدراسة وإغلاق الأسواق، كما إنه يجب الالتزام بقرارات الدول والحكومات بما يسمى بالتباعد الاجتماعي ونحو ذلك مما من شأنه المساعدة على تطويق

الفيروس ومنع انتشاره لأن تصرفات الإمام منوطة بالمصلحة، عملاً بالقاعدة الشرعية التي تنص على أن (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة).

النظافة في الإسلام عبادة وقربة والأدلة على ذلك كثيرة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) [سورة المائدة، 6]، قال سبحانه تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [سورة البقرة، 222]، وقال تعالى: (وَتِيَابِكُمْ فَطَهَّرْ) [سورة المدثر، 4]، وقال صلى الله عليه وسلم: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ) [مسلم]، ولذلك يتعين الأخذ بأحكام النظافة الشخصية العامة والاحتياطات الخاصة بهذه الجائحة ومنها: غسل اليدين بالماء والصابون ولبس الكمامات والقفازات، والالتزام بالتوجيهات الصحية الصادرة من الجهات المسؤولة واجب شرعاً للتوقي من الفيروس، ويجوز استخدام المعقمات المشتمة على الكحول في تعقيم الأيدي وتعقيم الأسطح والمقابض وغيرها، حيث إن "مادة الكحول غير نجسة شرعاً"، انظر: قرار المجمع رقم 210 (6 / 22) بشأن الاستحالة والاستهلاك في المواد الإضافية في الغذاء والدواء في دورته الثانية والعشرين التي عقدت في دولة الكويت.

أن عزل المريض المصاب بالفيروس واجب شرعاً كما هو معروف، وأما بخصوص المشتبه بحمله للفيروس أو ظهرت عليه أعراض المرض أثناء الحجر المنزلي فيجب عليه التقيد بما يسمى بالتباعد الاجتماعي عن أسرته والمخالطين له من عامة الناس، وكذلك لا يجوز لمن ظهرت عليه أعراض المرض أن يخفي ذلك عن السلطات الطبية المختصة وكذلك عن المخالطين له، كما ينبغي على من يعرف مصاباً غير أبه بالمرض أن يعلم الجهات الصحية عنه لأن ذلك يؤدي إلى انتشار هذا المرض واستفحال خطره، وعليه تنفيذ كل ما يصدر عن السلطات الطبية المختصة، ولها أن تعزّر من لُصِبَ بهذا المرض وأخفاه، قال الله تعالى: (وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [سورة البقرة، 195]، وقال سبحانه تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [سورة النساء، 29]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها) [البخاري]، وقال عليه الصلاة والسلام: (لا ضرر ولا ضرار) [أبو داود وابن ماجة ومالك والحاكم والبيهقي]، وبخصوص الطاعون جاء الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فليس من رجل يَفْعَ الطاعونُ فِيمَكَثُ فِي بَيْتِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلَ أَجْرِ الشَّهِيدِ) [البخاري].

يؤكد الأطباء والمختصون أن التجمعات تؤدي إلى الإصابة بفيروس كورونا ولذلك لا بد من الأخذ بالأسباب، والابتعاد عن التجمعات بجميع أشكالها وصورها، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) [سورة النساء، 71]، ويشمل ذلك جواز إغلاق المساجد لصلاة الجمعة والجماعة وصلاة التراويح، وصلاة العيد، وتعليق أداء المسلمين للحج والعمرة، وتعليق الأعمال، وإيقاف وسائل النقل المختلفة، ومنع التجوال، وإغلاق المدارس والجامعات والأخذ بمبدأ التعليم عن بُعد وأماكن التجمع الأخرى، وغيرها من صور الإغلاق.

ولا بد عند إغلاق المساجد في الجمع والجماعات من الإبقاء على رفع الأذان لأنه من شعائر الإسلام، ويقول المؤذن في الأذان "صلوا في رحالكم أو في بيوتكم" اقتداء بما رواه ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم [البخاري ومسلم وغيرهما]، ويصلي المسلمون الذين يعيشون في البيت نفسه الصلاة جماعة في منازلهم. وعند إغلاق المساجد يصلي الناس صلاة الجمعة ظهراً في البيوت بدلاً من صلاة الجمعة،

فصلاة الجمعة في البيوت لا تجوز، ولا يسقط فرض الجمعة بها، إضافة إلى ذلك يجوز للسلطات المختصة أن تنظم خطبة وصلاة الجمعة في أحد المساجد بحيث يلتزم فيها بالشروط الصحية الوقائية والفقهية، وتنقل عبر شاشات التلفزة والإنترنت والمذياع لاستفادة الناس من ذلك، ولا بد من التنبيه بأنه لا تجوز صلاة الجمعة والجماعة في البيت خلف الإمام عند النقل بهذه الوسائل لوجود المسافات العازلة بينهم.

ويجوز للعاملين في المجالات الصحية والأمنية ومثيلاتها في هذه الجائحة، الأخذ برخصة الجمع بين الصلوات، جمع تقديم أو تأخير عند الحاجة، (أو الجمع الصوري لمن لا يصح في مذهبه الجمع بين الصلوات).

أما فيما يتعلق بصيام شهر رمضان فالصيام لا يؤثر على الصحة بصفة عامة، ولا يزيد من خطر إصابة الصائم بالفيروس، كما إنه لا يوجد دليل علمي على أن جفاف الفم يقلل من المناعة ضد الفيروس، ولذا فيبقى واجب صوم رمضان على أصله، وقد أكد الأطباء والمختصون بأنه لا تأثير لفيروس كورونا على الصيام، ولذلك، فإنه لا يجوز الإفطار بدعوى وجود فيروس كورونا، ويجب الصيام على كل مكلف قادر صحيح مقيم، وأما المريض المصاب والمشتبه به، فإن حكم صيامهما يتوقف على ما يقرره الطبيب المعالج، فيجب على الناس الصيام إلا إذا كان يؤثر على صحة بعض الأشخاص برأي الأطباء الثقات المعالجين لحالتهم، وكذلك يجوز للممارسين الصحيين الذين قد يلحقهم الضعف والوهن، وقد ينشغلون فترة الإفطار عن الفطور والسحور معا فلهم الفطر إذا احتاجوا لذلك، وعليهم أن يلتزموا جميعا بما يجب عليهم من قضاء أو كفارة في حالة العجز عن القضاء وذلك بأن يطعموا عن كل يوم مسكينا، أما بالنسبة لصلاة التراويح وقيام الليل فيقوم المسلمون بصلاتهم في بيوتهم، ولهم أجر ذلك.

حث الدول والأفراد على مساعدة كل من انقطعت به سبل العيش نتيجة هذه الجائحة قال تعالى: (آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) [سورة الحديد، 7]، وقال سبحانه: (مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضاعفه له أضعافًا كثيرة) [سورة البقرة، 245]، وقال جل من قائل: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [سورة البقرة، 261]، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى) [مسلم]، وقال صلى الله عليه وسلم: (المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلُمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً مِنَ كَرْبِ الدُّنْيَا، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنَ كَرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [البخاري ومسلم]، أما تعجيل دفع الزكاة عن عام أو أكثر فيجوز وبخاصة في مثل هذه الظروف التي يحدث فيها على التبرع، وكذلك ينبغي أن يحرص المجتمع على القرض الحسن، والمساعدة قدر الإمكان، ويجب مد يد العون والمساعدة إلى المحتاجين من الأقارب والجيران والفقراء، كما يحسن دعم صناديق الزكاة والتكافل الاجتماعي التي أعلن عنها في أكثر من بلد، قال تعالى: (إِنَّمَا هَدَيْتُمُوهَا إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [سورة التوبة، 32]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ

مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيَعُدَّ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدَّ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ)، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ، [مسلم وأبو داود والبيهقي وغيرهم]، أما بخصوص زكاة الفطر فهي فرض (قال ابن عمر: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، وقال: أغنوهم في هذا اليوم)[البيهقي والدارقطني]، والمراد في أول أيام عيد الفطر، وأما في هذه الجائحة فيجوز إخراجها بدخول شهر رمضان.

يجب تغسيل الموتى وتكفينهم ولو برش الماء فإن تعذر فالتيمم، فإن تعذر يسقط وجوب الغسل مع الحرص على التقيد بتعليمات الصحية الوقائية، وكذلك مراعاة هذه التعليمات في التكفين والدفن، ثم يصلى عليه. ويمكن لمن شاء من المسلمين أن يصلي عليه صلاة الغائب ولو فرادى في أي مكان متاح، ولا يجوز حرق جثامين المسلمين في أي حال من الأحوال، وينبغي الإسراع في الدفن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَلَا تَحْبِسُوهُ وَأَسْرِعُوا بِهِ إِلَى قَبْرِهِ)[البيهقي].

يجوز غسل موتى الأوبئة بأجهزة التحكم عن بعد، والتي تجمع بين الوفاء بشروط وواجبات وسنن غسل الموتى في الشريعة الإسلامية والاشتراطات الصحية والبيئية المرعية. والدعوة موجهة للمختصين في هذا الشأن من المسلمين للمساعدة بإنتاج مثل هذه الأجهزة.

والتعزية مستحبة؛ وتؤدي بطرق عدة، أثناء الجائحة، فيجوز العزاء عبر وسائل الاتصال المختلفة دون الزيارة الشخصية خشية انتقال الفيروس.

يجب على كل المسلمين ووسائل الإعلام المتعددة ووسائل التواصل الاجتماعي تجنب نشر الشائعات المخوفة للناس، كما يجب على الجميع الوقوف في محاربة الأخبار الكاذبة وغير الموثوقة، تجنباً للأثار السلبية المترتبة على ذلك، قال تعالى: (مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[سورة ق، 18]، بالإضافة إلى حثهم على استخدام جميع وسائل الإعلام والنشر ووسائل التواصل الاجتماعي في نشر الوعي الطبي والأحكام الشرعية بشكل صحيح وكل الأحكام المتعلقة بمواجهة هذه الجائحة، وبث الأمل والفعال الحسن في قلوب العامة، وتكثيف المحاضرات في مجال تقوية المناعة، والمحافظة على العلاقات الأسرية، وذلك بإشراف الجهات الرسمية في كل بلد بحسبه.

يجب التأكيد على الامتناع عن تنقل اختلاف العلماء في الأحكام الصادرة عن هيئات العلماء ودور الإفتاء الشرعية المعتمدة، لما في ذلك من إثارة للبلبل في المفاهيم الدينية، وتضارب بالفتوى، وعلى الجميع الالتزام بالفتاوى الصحيحة الصادرة عن الجهات المختصة في بلده. على الحكومات والجهات المعنية تأمين عدد كاف من أجهزة التنفس لمعالجة الحالات التي تتطلب استخدام تلك الأجهزة، ويجب على الأطباء الالتزام بالمعايير الطبية والأخلاقية، وعند عدم وجود العدد الكافي من الأجهزة يرجع إلى رأي الطبيب وتقديم من يستحق التقديم وعند التساوي يرجع إلى القرعة بين المرضى.

على الدول والجهات الخيرية القادرة تأمين ما يحتاج إليه الطاقم الطبي من أجهزة وأدوية وذلك عن طريق التصنيع أو غيره، كما أن عليها التبرع بالمعدات والأجهزة الطبية التي تحتاج إليها الدول والمجتمعات في أنحاء العالم لمواجهة هذه الجائحة التي تهدد البشرية جمعاء.

وفي ظل غياب دواء خاص لعلاج المرض، ولقاح خاص للوقاية من الفيروس مبرهن على فاعليتهما وسلامتهما فيجب على الأطباء والعلماء المختصين إذا يسرت لهم الأسباب للقيام بتجارب علمية لإيجاد دواء ولقاح، أن تكون البحوث حسب المناهج والاشتراطات البحثية

المعتمدة عالمياً، وأن تكون منضبطة بالضوابط الشرعية الواردة في قرار المجمع رقم 161 (10/17) بشأن الضوابط الشرعية للبحوث الطبية البيولوجية على الإنسان في دورته السابعة عشرة التي عقدت في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، ويجب العمل على تأمين كل سبل الدعم المتاحة لهذه المشاريع والبحث على التبرع لها .

يجب على الدول مراقبة الأسعار بهدف منع الاحتكار ووضع الأسعار المناسبة وذلك لأن التلاعب فيها حرام شرعاً، ويجب وضع الخطط الاقتصادية المناسبة لهذا الوضع لتأمين كل السلع المحتاج إليها، وأن تخزين السلع الضرورية فوق الحاجة لا يجوز لأن في ذلك رفعاً للأسعار كما أنه يؤدي للإسراف المنهي عنه شرعاً .

يجوز عقد النكاح عبر وسائل الاتصال المتعددة عند الحاجة أثناء هذه الجائحة، ما دام يحتوي على الأركان والشروط اللازمة، وذلك بمعرفة السلطات المعنية، وقد كان مجلس المجمع قد منع عقد النكاح عن بعد لاشتراط الشهود، وهذا يقتضي توافر جميع الأركان كالعاقدين والشروط كالشهود، ويجب أن تقتصر حفلات الأعراس على الأقربين من أهل العروسين، وبأقل عدد ممكن مع مراعاة الأحكام والتوجهات الطبية .

لذلك كله علينا جميعاً أن نتوجه بالدعاء وطلب الحفظ من الله تعالى من هذه الجائحة وعلى المرضى التوجه إلى الله تعالى بطلب الشفاء والمعافاة لأن الله هو الشافي المعافي وصاحب الأمر كله، وذلك من منطلق الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره قال تعالى: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [سورة النمل، 62]، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكِهَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) [البخاري ومسلم]، وقال صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) [مسلم] .

ويرفع مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي والمشاركون في الندوة التي عقدها بأصدق معاني التقدير والشكر والإشادة لمقام خدام الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وولي عهده الأمين وإخوانهم ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي ولحكوماتهم حفظهم الله تعالى ورعاهم جميعاً على ما يبذلونه من جهود للتصدي لهذه الجائحة، ولكل من يساهم في مواجهتها من سلطات وفعاليات وبخاصة الممارسين الصحيين ورجال الأمن وغيرهم في كل الميادين ممن يعملون بجهد واجتهاد في سبيل حفظ المجتمع وصحته وسلامته، متحملين المخاطر والصعاب في جميع الدول العربية، والإسلامية، والعالم أجمع .

ولا ننسى التوجه بالشكر والتقدير لكل الإداريين بمجمع الفقه الإسلامي الدولي الذين ساهموا في إنجاح هذه الندوة فجزاهم الله سبحانه وتعالى خيراً على ما قدموه من جهد مخلص وعمل مستمر .

وفي الختام يسأل المشاركون في الندوة المولى عز وجل أن يكشف الغمة ويزيل الجائحة عن البشرية كلها، عاجلاً غير آجل، وأن يشفي المرضى والمصابين، ويرحم المسلمين المتوفين ويغفر لهم، إنه سميع مجيب الدعاء .

والله الموفق، وصلى الله على نبينا وحبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فيروس ال «كورونا» ... ماتعلمون ... وما لا تعلمون

بقلم : صالح الحاجة

...وانا اتابع انتقال « فيروس الكورونا » من بلد الى بلد انتقالا مرعبا ومخيفا حضرت امامي الاية القرآنية الكريمة التي تقول «يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم» فهي اية كريمة تعبر عن هذه اللحظة المرعبة التي تعيشها البشرية هذه الايام خير تعبير وتلخص ماساة « الكورونا » ادق واحسن تلخيص ... لقد جاءت هذه الاية لتستفز الانسان الذي اغتر وظن انه اصبح رب الكون بعد ان بلغ مابلغ من الحضارة ... وبعد ان اخترع ما اخترع ... فصار يعتقد انه الاقوى الذي لن يقدر عليه القادر ... وراح يمشي في الارض مرحا .. وطفى وتجبّر .. انها اية مشحونة بالمعاني السامية والبليغة والابدية التي تحمل رسالة من الله الى الانسان لتذكركه بان مالك الملك في الكون الواسع الشاسع هو رب السماوات والارض وبانه ضعيف ... عابر سبيل .. لا حول له ولا قوة بدليل انه وجد نفسه في خوف ورعب وارتباك وقلق وارق امام جرثومة لا نراها بالعين المجردة فهي ذرة لا يزيد حجمها عن حجم النقطة في الجملة المفيدة ... ولكنها رغم تفاهة حجمها فهي قادرة على تدمير العالم ... وانظروا كم اهلكت ... وكم افسدت ... وكم ارهبت ... لقد حولت قوة وحضارة وعلوم هذا الزمان الى كذبة ... والى لاشيء ... والى عدم ... لا وزن ... ولا معنى ... ولا قيمة لها ... وانهار امامها الانسان المغرور ... الجبار ... الذي طغى ... ووطن انه اصبح الكائن الخرافي الذي لا يقهر ... انهار انهيار الجبال اذا زلزلت الارض زلزالها ... وعود الى الله يستنجد به ويطلب منه الحماية والحصانة والشفاء والستر ... ان هذه الجرثومة الغامضة والكريهة والخطيرة ماهي في نهاية الامر الا تذكير من الله تعالى الى الانسان بان لا يطفى ... ولا يتجبّر ... ولا يظلم ... ولا ينسى انه ولو حقق من العلوم الشيء الكثير يظل في حاجة الى التواضع ... والتسامح ... والتعايش السلمي المشترك ... وان يتذكر دائما اننا نحن البشر ما اوتينا من العلم الا قليلا ... واننا مهما تعلمنا وعلمنا فان الله يعلم ونحن لانعلم ... وهو الوحيد الذي «يخلق ما لا تعلمون» ... فيا ايها الانسان تواضع قليلا ... قليلا ولا تنسى انك عابر في كلام عابر ... فلا تغتر .. ولا تكفر ... وتذكر دائما انك من تراب والى تراب .